فكرة عامة عن

الكتاب المقدس





عدة مقالات من مجلة مرقس

- النصوص الأصلية .
- كيف وصلت إلينا .
- أقدم المخطوطات التى تحتوى الكتاب المقدس .

دير القديس أنبا مقار

فكرة عامة عن



عدة مقالات من مجلة مرقس

- النصوص الأصلية .
- كيف وصلت إلينا أسفاره .
- أقدم المخطوطات التي تحوي الكتاب المقدس .

كتاب: **الكتاب المقدس:**

النصوص الأصلية ـ كيف وصلت إلينا أسفاره

أقدم المخطوطات التي تحوي الكتاب المقدس

إعداد: دار مجلة مرقس

الطبعة الأولى: ٢٠٠٣

[مقالات صدرت ما بين عامي ١٩٦٨ و١٩٧٠؛ مع مقال للأب متى المسكين: "الله كما استُعلن في العهد القديم".]

مطبعة دير القديس أنبا مقار ـ وادي النطرون.

ص. ب ٢٧٨٠ القاهرة.

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٣٠٩٤ / ٢٠٠٣

رقم الإيداع الدولي: ISBN 977-5545-46-3

المحتويات

البَابُ الأَوَّل

مُقَدِّمَة

الكتاب المقدس: ما هو؟

حينما نتكلم عن الكتاب المقدس فإننا نتكلم عن كلمة الله. فالكتاب المقدس هو السجل الحاوي لكلام الله الموحى به. هذه هي شهادة الكتاب المقدس عن نفسه: «كل الكتاب هو موحَى به من الله.» (٢تي ٣:١٦)

ويشرح الكتاب المقدس معنى الوحي من الله فيقول: «لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس.» (٢بط ١:٢١)

أي أن الكتاب المقدس لا يعلن مشيئة إنسان بل مشيئة الله التي لا يعرفها أحد إلا روح الله. لذلك فهو كلمة الله التي أوحى بها الله نفسه بروحه القدوس لرسله وأنبيائه القديسين.

ولكن كلمة الله لا يمكن أن يحدَّها ذهن بشري، لأنها ليست ككلمة الإنسان محدودة بإدراك الإنسان وقدرته على التعبير، فكلمة الله تمثل قدرة الله وحكمة الله بل وحضرة الله ذاته: «لأنه **قال** فكان. هو أمر فصار» (مز ٣٣:٩). «وهو ... حامل كل الأشياء **بكلمة** قدرته» (عب ١:٣). «شاء فولدنا **بكلمة** الحق لكي نكون باكورة من خلائقه.» (يع ١:١٨)

لذلك، فكلمة الله لا يمكن أن تُستعلن للإنسان إلا بالقدر الذي يحتمله الإنسان، وبالصورة التي تناسبه. فمن ثمَّ استغرق إعلان الله عن ذاته للإنسان من خلال كلمته آلاف السنين، واستخدم في

سبيل ذلك «أنواعا وطرقا كثيرة» (عب ١:١) بواسطة أنبياء ورسل عديدين. ومع كل هذا، فبالكاد استطاع الإنسان أن يكوِّن لنفسه صورة ذهنية بسيطة عن الله بمعونة الكلمة الموحاة والأنبياء الملهمين.

ولكن مشيئة الله بالنسبة للإنسان منذ البدء هي أن يصير «شريك الطبيعة الإلهية» (٢بط ١:٤)، لذلك خلقه الله على صورته ومثاله حتى يستريح المثيل على المثيل. من أجل ذلك، فإن غاية كلمة الله للإنسان هي أن يعود الإنسان إلى راحته في الله ليطابق في صورته الأصلَ الذي خُلِقَ عليه. لذلك أخذت كلمة الله أخيراً صورة الإنسان، واتخذ الإله لنفسه شكل العبد ولبس هيئته، لكي يعلن له عن ذاته بذاته المتحدة بطبيعة الإنسان لكي يستعيد الإنسان صورة الله كما تسبِّح الكنيسة قائلة: "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له" (التسبحة السنوية).

وهكذا «صار الكلمة جسداً» واستعلن المسيح كلمة الله المتجسد الذي كان في القديم مستتراً تحت رموز وأشكال ومتكلماً من خلال أشخاص الأنبياء، لكي يعطي للإنسان منتهى قصد الله في إعلانه عن ذاته للبشر.

ويلخص بولس الرسول كل هذا الكلام في بضعٍ كلمات زاخرة بالمعاني فيقول: «الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه... الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته...» (عب ١:١-٣)

***

إذن، فالكتاب المقدس نفسه هو الكتاب الحاوي لكلام الله

الموحَى به. ولكن كلمة الله لا تُحدّ ولا تُحصر في كتاب، فإن كلمة الله هو ابن الله الكائن منذ الأزل عند الله: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله.» (يو ١:١)

أما الكتاب المقدس فيقدم لنا "كلمة الله" كما أعلن عن ذاته للبشر في مدى أحقاب متتالية من الزمن، بأنواع وطرق عديدة: أولاً بالمناظر والرؤى والظهورات المختلفة، عن طريق الأنبياء والكهنة، ومن خلال تاريخ شعب إسرائيل، وأخيراً في شخص الكلمة المتجسد وأعماله وأقواله.

والكتاب المقدس بهذا الاعتبار فقط يملك حق وسلطان المطالبة لكل إنسان بضرورة الانتباه إليه بصفته إعلان الله عن مشيئته للإنسان عبر الدهور والأزمنة وتاريخ الشعوب. فهو يقدم المسيح متكلماً عبر الدهور!!

وحدة الكتاب المقدس في تباينه:

والكتاب المقدس استغرقت كتابته آلاف السنين وتمت بواسطة أناس عديدين، لا تكاد تربطهم ببعضهم البعض علاقة زمنية أو مكانية. فقد عاش غالبيتهم في أحقاب متباعدة وقطنوا أماكن مختلفة، حتى أن البعض منهم ـ كبولس الرسول مثلاً ـ لم يكتب رسائله المختلفة في زمن واحد أو مكان واحد أو تلبية لظروف واحدة. كما لم يكن أحد منهم يدري أنه يشارك في إخراج كتاب واحد يضم كل كتاباتهم الملهمة ويجعل منها مستنداً واحداً فريداً يرجع إليه البشر ليعرفوا منه إرادة الله في حياتهم وخطته في خلاصهم.

ومع ذلك فقد كانوا جميعاً تجمعهم صفة واحدة أنهم كانوا

«مسوقين من الروح القدس» (٢بط ١:٢١)، وكانوا يشتركون في هدف واحد هو توصيل رسالة الله إلى البشر.

فالكتاب المقدس لا يحمل حسب الظاهر أي أثر للغرض الموحد أو الخطة الشاملة؛ وتواريخه المجزأة تصف خبرات مبعثرة من الحياة، كما حين تصف تحوُّلات قبيلة رحالة من البدو؛ أو يستعرض مبادئ وأحكاماً تبدو لأول وهلة وكأنها متعارضة مثل «ناموس موسى» و«إنجيل المسيح»!! والعهدان القديم والجديد ــ اللذان يشتمل عليهما الكتاب ــ يفصل بينهما هوة سحيقة من التاريخ تصل إلى عدة قرون! حتى ترتيب الأسفار داخل الكتاب لم يتقرر أغلبه إلا أثناء تداولها!!

فمن كلِ جهة، يبدو الكتاب كأنه ينقصه الهدف الواحد الذي كان متوقعاً باعتبار أن الله هو المهيمن الفعلي على تكوينه. ولكن الدراسة الأعمق والأكثر تمعُّناً وفحصاً للحقيقة تقلب هذه النتيجة رأساً على عقب.

فإننا نجد أن طريقة العرض بهذه الصورة تتناسب مع طريقة الإلهام. لأنه إذا كانت أقوال الله مع الآباء في القديم «بأنواع وطرق كثيرة» (عب ١:١)، فليس عجيباً إذن أن نجد الكتاب المقدس الذي ينقل لنا هذه الأقوال أن يكون بنفس الطريقة متعددد الأشكال والأقسام: «لأنه أمرٌ على أمرٍ. أمرٌ على أمرٍ. فَرْضٌ على فرْضٍ. فرضٌ على فرْضٍ. هنا قليل هناك قليل» (إشَ ٢٨:١٠). هكذاً يصف إشعياء نبيٍ إسرائيل الإنجيلي أسلوب الله في تعليم شعبه. والعهد القديم يعكس بوضوح هذا الأسلوب.

ولكننا مع ذلك نلمس في الكتاب المقدس أيضاً نمواً مطرداً من جهة

إعلانه للوحي. فكلما تقدمت الآجيال، ازداد عرض المبادئ الاساسية للإيمان والعقيدة وضوحاً، وازداد إشعاع الحقيقة الروحية من خلال حجاب الأشكال الظاهرية، وهكذا يتحقق الناموس في الإنجيل، ويُستعلن إنجيل المسيح بأكثر جلاء في حياة تلاميذه وتعاليمهم بفعل روحه القدوس، حتى نصل إلى سفر الرؤيا، الذي وإن كان يبدو كأنه عَبَرَ المستقبل البعيد إلى نهاية ما أوحى به الله للإنسان، إلا أنه يحشد دروس الماضي ليظهر فعلها في المستقبل، ويربط بين الخليقة الجديدة والخليقة الأولى التي جاءت في سفر التكوين، وبين مناظر ورؤى العهد القديم مع منتهى غاية العهد الجديد.

فإذا كانت وحدة الكتاب المقدس لا تبدو متجانسة، إلا أن تباينها ليس متنافراً. فالصعوبات التي تقابلنا في فهم روح الكتاب لأول وهلة، ليست سوى دليلٍ على عمق أحكام الله وبُعْد أفكاره عن أفكارنا وطُرقه عن طُرقنا. وفي القديم أشار العلاّمة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) إلى هذا الأمر قائلاً: "إذا كان الكتاب المقدس من الله حقاً، فإنه من المتوقع أن الصعوبات التي تقابلنا في إدراك الطبيعة التي خلقها، تتكرر رؤيتها في كتابه المقدس."

ونحن يمكننا أن نستطرد في هذا الكلام فنقول: إن حكمة الله المتعددة الوجوه تُفصح عن نفسها في تنوع أشكال الطبيعة التي بلا حدود دون أن يؤثر ذلك في معنى وحدة الله خالقها! كذلك الأمر بالنسبة لكلمة الله الموحى بها، فإن ما نراه من تعدُّد أسفارها وتنوُّع أسلوب عرضها ليس سوى دليل على غنى حكمة الله التي لا تُحدّ، ولا يقف عائقاً أمام العين المستنيرة المدققة في اكتشاف الهدف الواحد الذي يشمل الكتاب كله من أوله إلى آخره. هذا

الهدف الذي لا يحيد عنه قط، وهو **الخلاص الذي يصنعه الله من أجلنا، وبواسطتنا، وبمبادرة منه هو.**

طبيعة الوحي وتنوعه:

كذلك، فإن تعدد أشكال الوحي يتناسب مع تباين طبائع البشر الذين يخاطبهم الوحي والناقلين له. فإنه على قدر إمكانية الإنسان لاستقبال الوحي الإلهي، هكذا يُستعلن له. فالروح القدس يعمل من خلال الإمكانيات الطبيعية للإنسان ولا يتخطاها أو يتجاوزها، إلا أنه يسمو بها ويعصمها من الخطأ. لذلك فالكاتب الملهم يكتب بأسلوبه وتعبيراته وكلماته، أما المعنى والروح فهو من الله.

وإنه لأمر يستحق التنويه أن الكنيسة الأولى بآبائها القديسين العظام، لم تضع صيغة نهائية بالنسبة لطبيعة الوحي في الكتاب المقدس، ولكن الرأي المسيحي السائد بصفة عامة كان راضياً عن التمييز بين الشخصية الإنسانية لكُتَّاب الأسفار المقدسة وبين التأثير الإلهي الواقع عليهم، دون محاولة لتحديد مجال كل من العنصرين البشري والإلهي.

ومن شخصيات الكنيسة الأولى الذين يُعتدُّ برأيهم في هذا المجال، القديس إيرينيئوس من آباء القرن الثاني (١٢٠-٢٠٢م). فقد كان اعتقاده في الوحي ليس أن روحاً يأتي ويسكن في نبي ما فيُلهمه لإعلان حقيقة جديدة، وإنما الوحي هو من الروح الواحد الذي يسكن في جميع الذين يتمسكون بالحق الثابت عندهم بالتقليد، فإنه يسمو بهم إلى الكمال ويحفظهم من الخطأ(١).

ويشبه القديس إيرينيئوس في تعليمه عن الوحي القديس

---

(١) *Biblical Theology of St Iren.* p 49.

ثاوفيلس الأنطاكي (١٨٢م) الذي يرى أن الله يختار كآنية لخدمته أولئك الذين بفضل نعمته قد صاروا أهلاً لهذه الخدمة باستعدادهم الشخصي:

[فإن رجال الله الذين نالوا تعليمهم من الله فصاروا قديسين وأبراراً يحل فيهم روحه القدوس فيصيرون أنبياء ملهمين ومملوئين من حكمة الله. فمن ثم استحقوا أن ينالوا هذه العطية العظمى وأن يصيروا آنية لله تحمل الحكمة التي من عنده.](٢)

أما العلاَّمة كليمندس الإسكندري (من القرن الثالث) فيتكلم عن وحي الكتاب المقدس كلاماً أكثر شمولاً فيقول:

[لأننا نجد في الرب المبدأ الأساسي لكل تعليم صحيح، الذي يرشدنا إلى المعرفة من أول الطريق إلى آخره، ويقودنا إليها «بأنواع وطرق كثيرة» بواسطة الأنبياء والإنجيل والرسل المباركين. فإذا ظن أحد أن هذا المبدأ الأساسي محتاج إلى ما يسنده، فإنه ينبغي أن يكون بذلك مبدأً أساسياً، أما الذي يؤمن من نفسه بالكتب الإلهية وبصوت الرب (الناطق فيها)، فهو مستحق لهذا الإيمان، إذ أنه مستأهل لأن يتحرك تلقائياً من الله لما فيه خير البشرية. وبكل تأكيد، يمكننا أن نعتبر ذلك معياراً لوصوله إلى الحقائق الثابتة... وهكذا، فإن لنا في الكتب المقدسة ذاتها إثباتاً كاملاً عن نفسها، فإنها تحمل من الإدانة لكل من لا يؤمن ما يوازي مقدار قوة

---

(٢) *Ad Autol.* 11.9.

الإقناع التي قادتنا فيها إلى الإيمان.][3]

وبالنهاية، يمكننا أن نستخلص من هذا الكلام أن أكبر دليل على وحي الكتاب المقدس هو الكتاب نفسه، إذ أنه يحمل في ذاته البرهان الكافي على مصدره الإلهي؛ كما يقول العلامة أوريجانوس:

[إذا تبصَّر إنسان في أقوال النبوات بكل الشوق والتوقير اللائق بها، فمن المؤكد أن تتلامس روحه وأحاسيسه مع روح الله من خلال إطلاعه وتدقيقه فيها. وسوف يدرك أن الكلمات التي قرأها ليست من نطق بشر ولكنها لغة الله. وهكذا سوف يؤمن بكل يقين أن هذه الكتب لم تصنعها مهارة إنسان أو أي ذكاء أو فطنة أرضية، وإنما هي ذات طابع إلهي.][4]



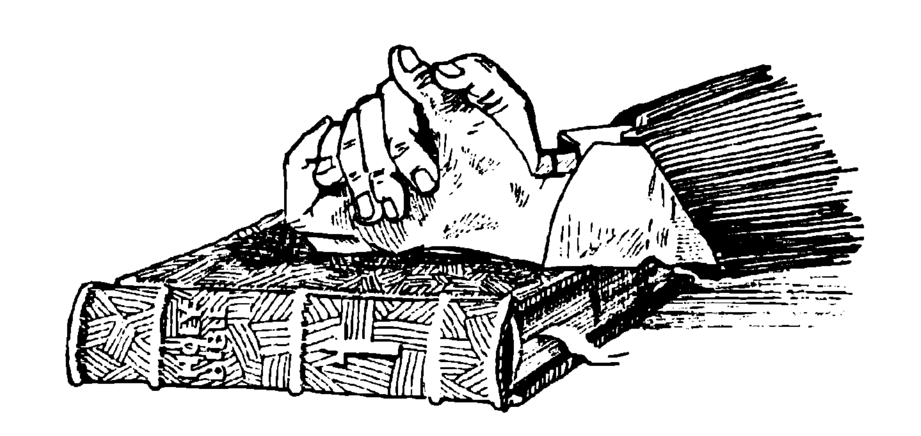
---

(٣) *Alexandrian Christianity* Vol. II, p. 153.

(٤) *ANF*, vol. IV, p. 345.

البَابُ الثَّانِي

الكتاب المقدس:
كيف جُمعت أسفاره؟



الفصل الأول

العهد القديم: كيف جُمعت أسفاره؟

فكرة عامة:

خلال النمو المطرد للكتابات التي كونت الكتاب المقدس الذي استغرق ما يقرب من ألف عام، لم يكن ممكناً أن تأخذ هذه الكتب اسماً موحداً جامعاً. فالكتَّاب المتتابعون لم يكونوا يشعرون بمهمتهم الخطيرة في إظهار كتاب عجيب من نوعه يضم استعلانات الله للبشر على مدى هذه الأجيال المديدة.

وكانت أول تسمية أطلقها كاتبو الكتاب المقدس أنفسهم على الأجزاء الأولى التي كُتبت قبلهم هي "الكتب" كما جاء في سفر دانيال ٩ : ٢: «أنا دانيال فهمت من **الكتب** عدد السنين التي كانت عنها كلمة الرب إلى إرميا النبي لكمالة سبعين سنة على خراب أورشليم».

وفي سفر المكابيين الأول ١٢ : ٩ (أحد الأسفار القانونية الثانية) جاءت الإشارة إلى الكتابات المقدسة هكذا: «فنحن وإن لم تكن بنا حاجة إلى ذلك بما لنا من تعزية في **الأسفار المقدسة** التي في أيدينا...».

أما العهد الجديد فقد أشار إلى الأسفار العبرية القانونية "بالكتب"(١) Scriptures أو "الكتب المقدسة" Sacred Writings.

+ «فأجاب يسوع وقال لهم تضلون إذ لا تعرفون **الكتب** ولا قوة الله.» (مت ٢٢: ٢٩)

+ «وأنك منذ الطفولية تعرف **الكتب المقدسة** القادرة أن تحكّمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع.» (٢تي ٣: ١٥)

وقد ساوى العهد الجديد بين كتابات الأنبياء وكتابات الرسل ووصية الرب والمخلّص، إذ استخدم نفس التعبير مشيراً إلى كليهما، إذ جاء في الرسالة الثانية لمعلمنا بطرس الرسول:

+ «لتذكروا **الأقوال التي قالها سابقاً الأنبياء القديسون ووصيتنا نحن الرسل وصية الرب والمخلص**... كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس **أيضاً** بحسب الحكمة المعطاة له. كما في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور. التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرِّفها غير العلماء وغير الثابتين **كباقي الكتب أيضاً** لهلاك أنفسهم.» (٢بط ٣: ٢و١٥ و١٦)

وفي القرن الثاني الميلادي جاء في الرسالة الثانية للقديس كليمندس إلى كورنثوس(٢) متكلماً عن "الكتب والرسل" بطريقة تبين أنهم

---

(١) الكلمة الإنجليزية Scripture أصلها لاتيني Scriptum ومعناها "مستند بخط اليد". ويتضح سبب إطلاقها على الكتاب المقدس لكونه مجموعة مستندات أصلية كُتبت بواسطة رجال الله القديسين أنفسهم.

(٢) *Ps. Clem.* 2 Cor 14

كانوا يعتبرون الكتب المقدسة وكتابات الرسل في مرتبة واحدة من حيث سلطانها الروحي.

أما القرن الرابع فيقدم لنا أكثر من دليل على وجود العهدين القديم والجديد باللغة اليونانية منسوخَيْن في مجلد واحد.

وقد دعا العلاَّمة جيروم كلٍ مجموعة الكتب المقدسة القانونية "بالمكتبة الإلهية"، وربما كان ذلك نقلاً عن سفر المكابيين الثاني ٢:١٣: «وقد شرح ذلك في السجلات والتذاكر التي لنحميا وكيف أنشأ **مكتبة** جمع فيها أخبار الملوك والأنبياء وكتابات داود ورسائل الملوك في التقادم».

وكان المعتاد بين الكتَّاب اليونانيين أن يعبِّروا عن العهدين القديم والجديد على ضوء كونهما في مجموعة واحدة بـ"الكتب" = Biblia، وقد عمَّ الغرب أيضاً هذا الاستعمال الشامل للَّقب.

وفي القرن الثالث عشر حدث تغيير في القاعدة اللغوية للكلمة اليونانية[٣] Biblia فأصبحت تعني اسم مفرد أي "كتاب". وهكذا استُبدلت ترجمتها من "الكتب المقدسة" إلى "الكتاب المقدس"، وبذلك استقرت الكنيسة على تعبير أو لقب للكتابات المقدسة يوحي للقارئ بوحدتها، بالرغم من اختلاف أحقابها التاريخية وتباين أجزائها الداخلية.

---

(٣) Biblia كلمة يونانية مشتقة من Biblos وهو الاسم الذي يُطلق على ورق البردي بالإنجليزية. ومنها جاءت التسمية الإنجليزية للكتاب المقدس Bible.

الفصل الثاني

«العهد القديم» و «العهد الجديد»

كان الاسمان المميزان للقسمين الرئيسيين للكتاب المقدس معروفَيْن قبل اللقب الشامل للمجلد الذي يضم كليهما.

ففي الرسالة الثانية لمعلمنا بولس الرسول إلى كورنثوس، أُطلق بالفعل اسم "**العهد العتيق**" على ناموس موسى في قوله: «بل أغلظت أذهانهم لأنه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة **العهد العتيق** باقٍ غير منكشف، الذي يُبطَل في المسيح.» (٢كو ٣: ١٤)

أما كلمة "العهد" فقد أطلقها الله نفسه على الناموس، إذ اعتبره عهداً بينه وبين بني إسرائيل، صاروا بموجبه قابلين لاستعلان خاص وامتيازات معيَّنة بشرط إخلاصهم وأمانتهم للإلتزامات التي وُضِعت عليهم: «فالآن، إن سمعتم لصوتي وحفظتم **عهدي** تكونون لي خاصة» (خر ١٩: ٥). كما أطلق على الكتاب الذي يحتوي على العهد اسم "كتاب العهد": «وأخذ **كتاب العهد** وقرأ في مسامع الشعب» (خر ٢٤: ٧). ثم اتسع استعمال هذا الاسم فأصبح يشمل فيما بعد أسفار موسى الخمسة: «وما وجدوه من **أسفار الشريعة مزقوه** وأحرقوه بالنار وكل ما وُجد عنده سفر من **العهد** أو اتبع الشريعة فإنه مقتول بأمر الملك.» (١مكابيين ١: ٥٩)

ولكن شعب إسرائيل لم يكن أميناً للعهد، لذلك اقتضى الأمر إبرام عهد جديد أكثر اتساعاً وثبوتاً، كما يعبِّر عن ذلك إرميا النبي قائلاً:

+ «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا **عهداً جديداً، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم... حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب.**» (إر ٣١:٣١و٣٢)

هذا العهد الجديد هو العهد الذي أسسه الرب يسوع المسيح بدمه الذي سفكه على الصليب: «لأن هذا هو دمي **الذي للعهد الجديد** الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا.» (مت ٢٦:٢٨)

وبمرور الزمن أصبح هذا الاسم يطلق على كل الكتب المقدسة المسيحية مجتمعة. وفي الغرب كان الاسمان "العهد القديم" و"العهد الجديد" معروفين منذ أواخر القرن الثاني. وقد استمر هذان الاسمان بالرغم من ميل العلامة ترتليان أحد آباء الكنيسة اللاتينية في ذلك العصر، إلى إحلال كلمة "مستند" محل لفظة "عهد".

والآن،

كيف جُمِعَت أسفار العهد القديم؟

يمتد زمان كتابة العهد القديم على مدى نحو ألف من السنين. وغالبية هذا التراث الروحي كُتب باللغة العبرانية، لغة إسرائيل القديمة التي اندثرت تدريجياً بعد السبي وأعقبتها اللغة الأرامية ـ التي هي لهجة مقاربة للعبرانية ومن نفس عائلتها، كما أن بعضاً من أجزاء هذا التراث كُتب باليونانية في عصور متأخرة.

ولا يمكن أن نقرر على وجه التحديد متى بدأت كتابة أول مستندات العهد القديم. فتاريخ أقدم كتابة دينية وُجدت في الشرق الأدنى يرجع إلى حوالي ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد، مما يجعلنا لا نستبعد أن تكون هناك مخطوطات دينية أيام رؤساء الآباء وهي التي استقى منها العهد القديم مادته.

ومن البديهي أن يكون كتاب العهد القديم قد نشأ عن الكتابات المتفرقة من مذكرات وتسجيلات رجال الله القديسين المسوقين من الروح القدس، الذين عاشوا في أجيال متباعدة ودوَّنوا إلهامهم تحت ظروف متباينة، بجانب التراث الروحي الشفاهي الذي تسلمه الخلف عن السلف بالتقليد المقدس قبل أن تصبح الكتابة أمراً متداولاً بين الناس.

ولكن كتاب العهد القديم لا يضم كل الكتابات الدينية التي ظهرت على مدى تاريخ الشعب اليهودي الطويل، ولكنه يشمل مجموعة مختارة منها تميزت بسلطان الكلمة الموحى بها من الله.

فقد اعتمد يهود فلسطين الذين عاصروا السيد المسيح قانونية **اثنين وعشرين سفراً للعهد القديم**(١) بعدد حروف الأبجدية العبرية، وهي نفس الأسفار التي اعتمدتها الكنيسة المسيحية، إلا أنها حسبت عددها **تسعة وثلاثين سفراً**. ويرجع الاختلاف في العدد إلى أن يهود فلسطين كانوا يعتبرون سفر راعوث جزءاً من سفر القضاة، والمراثي جزءاً من

---

(١) يوجد تقليد آخر قديم بأن عدد هذه الأسفار كان ٢٤ سفراً، ويرجع السبب في الاختلاف أنهم لم يضموا سفر راعوث على سفر القضاة ولا المراثي على إرميا.

سفر إرميا، ونحميا مع عزرا، وأسفار صموئيل والملوك والأخبار جعلوا كلا منها سفراً واحداً، وكذلك الاثنا عشر سفراً التي للأنبياء الصغار اعتبروها سفراً واحداً.

أما الكنيسة المسيحية فقد اتبعت تقسيم يهود الإسكندرية الذين ترجموا كتاب العهد القديم إلى اللغة اليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد، وعُرِفت **بالترجمة السبعينية**، إلا أن هذه الترجمة أضافت إلى التسعة والثلاثين سفراً أسفاراً مترجمة لكتب عبرية أخرى لم يتضمنها الكتاب المقدس العبري مثل: يشوع بن سيراخ، ويهوديت، والمكابيين الأول، وكتابات وُضعت أصلاً باليونانية مثل: أزدراس الأول، وطوبيت، وحكمة سليمان، وباروخ، والمكابيين الثاني، وإضافات باليونانية لبعض الأسفار الموجودة أصلاً في النص العبري مثل إضافات لسفر أستير وإضافات لسفر دانيال.

كما أنه يوجد أيضاً اختلاف في ترتيب الأسفار بين يهود فلسطين ويهود الإسكندرية. فقد كان يهود فلسطين يقسمون العهد القديم إلى ثلاثة أقسام رئيسية: **الناموس والأنبياء والهاجيوجرافا** (أي الكتابات المقدسة). وقد أشار الرب يسوع إلى هذا التقسيم في قوله: «هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في **ناموس موسى والأنبياء والمزامير**» (لو ٢٤: ٤٤)، **والمزامير** هي النموذج الممثل للقسم الثالث من العهد القديم.

وهذا الترتيب له علاقة هامة **بتاريخ قانونية هذه الأسفار** وكيفية جمعها في كتاب واحد.

ويُقصد **بالناموس** أسفار موسى الخمسة، **وبالأنبياء** يشوع والقضاة وصموئيل والملوك (وهؤلاء يسمونهم الأنبياء الأولون) ثم الأنبياء الصغار وإشعياء وإرميا وحزقيال (ويدعون الأنبياء المتأخرون)، **والهاجيوجرافا** هي أسفار المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الأنشاد والجامعة وأستير ودانيال وعزرا مع نحميا وأخبار الأيام.

أما ترتيب الأسفار عند يهود الإسكندرية فهو نفس ترتيبها في الكتاب المقدس الذي تستخدمه الكنيسة المسيحية حالياً.

وقد ورثت الكنيسة المسيحية عن اليهودية أسفار العهد القديم باعتبارها تمهيداً للعهد الجديد، ولأنها تشهد للمسيح الذي قال عنها: «**فتشوا الكتب... وهي التي تشهد لي.**» (يو ٥:٣٩)

وقد قبلت الكنيسة هذه الأسفار بعد التأكد من قانونيتها، وأضافت إليها كتابات الرسل التي تبرهنت أنها كذلك بكل وضوح، فصار مجموعها معاً يكوِّن الكتاب المقدس المسيحي.

قانونية الأسفار:

كلمة "قانون" يونانية الأصل Kanon ومعناها "قضيب مستقيم مدرَّج" يستخدم للقياس عند اليونانيين قديماً. وقد أعطاها بولس الرسول معنىً جديداً حينما ذكرها في قوله: «ولكن نحن لا نفتخر إلى ما لا يقاس بل **حسب قياس القانون** الذي قسمه لنا الله قياساً للبلوغ إليكم أيضاً...» (٢كو ١٠:١٣-١٦)، إذ جعلها تعني "**قاعدة للسلوك والعقيدة**".

وفي الكنيسة الأولى استعملها القديس إيرينيئوس في التعبير عن الإيمان التقليدي المسلَّم من الكنيسة الجامعة باعتباره "**قانون الإيمان والسلوك**".

وفي القرن الثالث تحدَّث العلاَّمة أوريجانوس عن الأسفار المعترف بها على أنها هي "**الأسفار القانونية**" التي فُحصت وحُققت صحتها على أساس قياس الكنيسة وقاعدتها الثابتة.

وفي القرن الرابع أصبح الوصف النهائي لهذه الأسفار بأنها "كتب قانونية" أو أنها ضمن "قانون الكتاب المقدس" سبباً لاعتبارها هي **في ذاتها مقياساً للحقيقة ومعياراً للإيمان، وقانوناً روحياً** تُقيَّم بواسطته جميع المبادئ والكتابات المسيحية بما فيها الكتب التي قبل المسيحية والتي ورثتها الكنيسة من المجمع اليهودي، وفي هذا يقول القديس كليمندس الإسكندري:

[إن الآباء الأولين لم يتصوروا قط شيئاً يُدعى عقيدة لا يمكن إثباتها من الكتب المقدسة، ما خلا التقاليد الرسولية التي تبرهنت بكل وضوح أنها كذلك والتي يُستدل بواسطتها على الكتب المقدسة... فلا يوجد أمر يمكن أن نعلِّم به الآن أو في أي زمن مضى بعد العهد الرسولي إلا ويكون الحكم عليه من الكتب المقدسة ويكون السؤال المطروح من جهته: هل كان هذا الأمر دائماً له هذا الاتجاه في التعليم والمفهوم؟](٢)

---

(٢) ANF, vol II, p 557

نمو الكتاب المقدس العبري

نستطيع من الكتاب المقدس نفسه أن نتلمس الأطوار التي جاز فيها النص العبري لكتاب العهد القديم حتى وصل إلى الصورة التي انتهى إليها. وكما سبق فأشرنا أن التقسيم العبري للأسفار إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: **الناموس، والأنبياء، والكتابات المقدسة**، له علاقة وثيقة بتاريخ قانونية هذه الأسفار ومراحل جمعها في كتاب واحد.

أولاً: ناموس موسى:

يُعتبر الناموس أو أسفار موسى الخمسة هو نواة لكتاب العهد القديم كله، وحول هذه النواة تجمعت سائر الكتابات اليهودية المقدسة. فقد كان "الناموس" أو "التوراة" معتبراً أنه هو السفر الإلهي بالدرجة الأولى. ثم جاءت بعده سائر الأسفار لتشاركه في ذات النبع والمنشأ.

وكان الناموس يُحفظ في بيت الرب بجوار تابوت العهد في قدس الأقداس، كدليل على مكانة كلمة الله وقيمتها العظمى في قيادة الشعب وتقديسه.

ولم يكن الناموس محتاجاً إلى أي سلطة لاعتماد قداسته، فقد كان يكفيه شهادةً على قداسته طبيعةُ ما يحتويه وصِفَة كاتبه الذي هو موسى رئيس الأنبياء وكليم الله الذي تقبَّل من الله أول شريعة مكتوبة بأصبع الله على لوحين من الحجر، والذي جعل من شعب إسرائيل أمة ذات كيان ديني واجتماعي مستقل تحت حكم "ثيئوقراطي" أي حكم الله نفسه.

أما قبل موسى، فكان شعب إسرائيل لا يتعدى بضعة قبائل أو أسباط لا يربطها ببعضها البعض سوى الجد المشترك والإله الواحد الذي يعبدونه!! ويظهر ذلك بوضوح في سفر التكوين، الذي يبدأ بتاريخ ما قبل التاريخ، كاشفاً عن أصول الحياة على الأرض وطبيعة الإنسان ومنشأه وسر سقوطه، أمور لم يكن في مقدور أي إنسان أن يدركها بدون توسط الوحي لإعلانها. ثم يأخذ السفر في سرد أحداث جوهرية في تاريخ البشرية تمَّت على مدى ألفين من السنين قبل موسى وتعتبر انطلاقاً لتطور جديد في حياة الإنسان، إلى أن تتركز الأحداث حول شخصية إبراهيم ونسله الذي يُعتَبر الجد الأول لبني إسرائيل، والذي فيه تباركت جميع قبائل الأرض، إذ أنه من نسله جاء المسيح حسب الجسد، والذي تراءى له الله ولبنيه في ظهورات مختلفة معلناً عن مشيئته لهم، تلك التي سلموها لمن أتوا بعدهم بالتقليد الشفاهي حتى وصلت إلى موسى النبي الذي سجلها بإرشاد الروح القدس وتوجيهه.

أما أربعة أسفار موسى الأخرى فتختص بالأحداث التي جرت في عهده والتي تتعلق به شخصياً، لذلك فإنه يوجد من الأدلة الكثير على أن موسى النبي هو كاتبها حسب أمر الرب:

+ ففي سفر الخروج ١٧:١٤: «قال الرب لموسى **اكتب هذا تذكاراً في الكتاب**، وضعه في مسامع يشوع، فإني سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء».

+ وفي سفر العدد ٣٣:٢ يذكر أن موسى **كتب مخارج بني**

إسرائيل برحلاتهم حسب قول الرب.

+ أما في سفر التثنية فنجد موسى يوصي الشعب أن **يكتب جميع كلمات هذا الناموس** الذي أعلمهم به على الحجارة بعد أن يعبروا الأردن ويستقروا في الأرض التي أعطاهم الرب إياها (تث ٢٧: ١-٨). ولكنه يعود في نفس السفر فيبين لنا أن موسى النبي لم يكتفِ بأن يلقنهم الناموس شفاهاً ويوصيهم أن يكتبوه على الحجارة، بل **أكمل كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب** وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب لكي يضعوها بجوار التابوت لتكون شاهداً عليهم، وأمرهم أن تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في نهاية كل سبع سنين في عيد المظال (تث ٣١: ٩-٢٦).

ثانياً: الأنبياء:

ولما تسلم **يشوع** قيادة الشعب بعد موت موسى النبي، وورَّثهم أرض الميعاد واستقر كل سبط في الأرض التي جاءت من نصيبه، جمع كل أسباط إسرائيل إلى شكيم وأوصاهم أن يعبدوا الرب الذي أخرجهم من أرض مصر وأعطاهم أرضاً لم يتعبوا فيها ومدناً لم يبنوها وكروماً لم يغرسوها. وقطع يشوع معهم عهداً أن يحفظوا كل ما أوصاهم الله به: «**وكتب هذا الكلام في سفر شريعة الله**» وأقام حجراً كبيراً شاهداً عليهم (يش ٢٤: ٢٦).

ثم جاء عصر القضاة، وكان آخرهم **صموئيل** النبي الذي طلب منه الشعب أن يقيم لهم ملكاً على إسرائيل، رافضين بذلك أن يملك الله عليهم، فأقام لهم شاول ملكاً حسب رغبتهم: «**فكلَّم صموئيل**

الشعب بقضاء المملكة وكتبه في السفر ووضعه أمام الرب.» (١صم ١٠:٢٥)

ويتضح من ذلك أن يشوع وصموئيل أضافا كتابات جديدة إلى السفر الذي تسلماه من أسلافهما، وأنهما حفظاه أيضاً في المكان المقدس أمام الرب.

ولكنه حدث في أيام الانحلال الديني بعد انقسام أمة اليهود إلى مملكتين، أن اليهود نسوا كتبهم المقدسة وأهملوها. إلا أنه في أيام الملك يوشيا البار اكتشف حلقيا الكاهن العظيم سفر الشريعة في بيت الرب، فأدت قراءته إلى ندامة عظيمة ورجوع إلى الله من الملك إلى الشعب (٢مل ٢٢:٨ إلى آخره).

نخرج من هذه الحادثة بنتيجة هامة، أن سفر الشريعة كان له منذ البداية المكانة العظمى عند اليهود باعتباره كلمة الله التي يجب الرجوع إليها وتعديل الحياة بموجبها.

أما الأسفار الأخرى فقد جاءت بالتدريج، وأغلبها كُتب في البداية في شكل أخبار متفرقة أو مذكرات، ثم جُمعت في المجلدات الخاصة بها. وقد جاء في بعض الأسفار ما يبرهن على وجود مثل هذه الأخبار والمذكرات. ففي سفر العدد ٢١:١٤ جاء ذكر "كتاب حروب الرب"، وفي سفر يشوع ١٠:١٣ و٢صم ١:١٨ أُشير إلى "سفر ياشر"، وفي ١مل ١١:٤١ إلى "سفر أمور سليمان"، وفي ٢مل ١٥:٣١ إلى "سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا".

من هذه الأخبار والمذكرات التي ربما كانت في صورة يوميات، جُمعت الأسفار التاريخية بصفة خاصة.

إلا أنه بالنسبة لأسفار الأنبياء المتأخرين، بالذات سفر إرميا النبي، نلاحظ أن الرب قد أمره أن يكتب كل ما كلّمه به قائلاً: «خذ لنفسك دَرْج سِفْر **واكتب فيه كل الكلام الذي كلمتك به**». ولما قُرىء كلام هذا الدَرْج في مسامع الملك مزقه وألقاه إلى النار فاحترق كله. فعاد الرب وأمر إرميا بكتابته مرة أخرى «وزيد عليه أيضاً كلام كثير مثله.» (إر ٣٦)

وهكذا يتضح لنا عناية الله بتسجيل كلمته، ومقدار المقاومة الشديدة التي تعرضت لها كلمة الله على مر الدهور بواسطة قوى الشر التي في العالم، وكيف استطاعت العناية الإلهية أن تحفظ كلمته من التلف أو الضياع رغم كل الأجواء المعارضة.

ثالثاً: الكتابات المقدسة:

يتبين من هذه الكتابات ذاتها ـ التي يُعتبر سفر المزامير ممثلاً لها ـ أنها نشأت أيضاً بالتدريج على مدى أحقاب طويلة وخلال مراحل متعددة من تاريخ إسرائيل.

فسفر المزامير مثلاً الذي ينسبه التقليد إلى داود النبي، ثبت من البحث أن واضعيه كثيرون، وأن كثيراً من المزامير كُتبت بعد السبي وبالأخص في أيام المكابيين. أما نظرة التقليد في نسبة المزامير لداود فترجع إلى أن ٧٣ مزموراً منها معنونة باسم داود، وأنه هو الذي

انسكبت عليه هذه الموهبة بصورة فائقة إذ كان موسيقياً وشاعراً، وقد أنشأ جوقات الترتيل للعبادة الجمهورية عند اليهود.

وهذه الكتابات المقدسة عموماً تتضمن شهادات على الأسفار التي سبقتها، وتحمل أدلة قوية على وجود كتابات متداولة أيام السبي وبعده كانت لها قوة الكلمة الإلهية وسلطان الوحي.

وأهم ما يدلُّنا على ذلك هو ما قيل عن عزرا أنه «**كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل**» (عز ٧:٦)، وأنه صعد من بابل حسب أمر الملك البابلي، وعاد إلى أورشليم ومعه كثيرون من شعب إسرائيل الذين كانوا في السبي، وقد تحرك فيهم من جديد بواعث الرجوع إلى الشريعة وكلمة الله كأساس لبناء حياة جديدة ومستقبل جديد لأمتهم. وهكذا انعقد اجتماع وقور تلا فيه عزرا التوراة في مسامع الشعب، واستغرقت القراءة أسبوعاً «من الصباح الباكر إلى نصف النهار» (نح ٨:١-١٨). وقد كان هذا الصنيع بمثابة إقرار بسلطان التوراة.

أما الخطوة التالية لتكوين الكتاب المقدس العبري فقد نسبها إلى نحميا تقليد سابق للمسيحية، مأخوذ من سفر المكابيين الثاني، حيث يقول إنه "**أسس مكتبة جمع فيها أعمال الملوك والأنبياء وكتابات داود ورسائل الملوك المختصة بالتقدمات المقدسة**" (٢مك ٢:١٣). وهذا الوصف ينطبق بالتقريب على الأنبياء الأوائل والأنبياء المتأخرين وجزء من "الهاجيوجرافا".

وهكذا يبدو أن الجزئين الأول والثاني في القانون العبري أي "الناموس والأنبياء" قد اكتملا منذ القرن الثالث قبل الميلاد.

أما الهاجيوجرافا، فقد عُرفت أولاً في مستهل كتاب حكمة يشوع بن سيراخ الذي يُحتمل أن يكون قد كُتب في السنين الأولى من القرن الثاني قبل الميلاد. فهو يبوِّب الكتب المقدسة العبرية إلى "**الناموس والأنبياء وباقي الكتب**". وفي الأصحاحات من ٤٤ إلى ٤٩ يذكر في تتابع تاريخ منتظم رجال الله الذين ظهروا في الأمة اليهودية من أول أسفار موسى الخمسة حتى أسفار الأنبياء المتأخرين. كما يذكر أيضاً ما يبين معرفته بمزامير داود وأمثال سليمان ونشيد الأنشاد.

ويسجل لنا سفر المكابيين الأول أن أنطيوخس الرابع إبيفانِس (١٧٥-١٦٤ ق.م) الملك الذي كان حاكماً على بلاد سوريا الذي كان من سلالة السلوقيين، خلفاء الإسكندر الأكبر، قام بمحاولة إبادة جميع النسخ الموجودة من الناموس، "وما وجده من أسفار الشريعة مزقوه وأحرقوه بالنار..." (١مك ١:٥٩). فنهض يهوذا المكابي، كما لو كان نحميا قد بُعِث من جديد، وجمع كل الكتب المقدسة المبعثرة للتحفظ عليها (٢مك ٢:١٤). وكأن حركة المكابيين كلها قامت من أجل الغيرة على كلمة الله، والكفاح حتى الموت في سبيل المحافظة عليها، ويبدو أن هذه الحركة قد أدت إلى جمع شمل الكتب المقدسة العبرية وحفظها في مجموعة واحدة. **وهكذا نرى أن الكتاب المقدس العبري قد صار كاملاً منذ حوالي قرن قبل مجيء المسيح.**

أولاً: شهادة المؤرخ يوسيفوس بالأسفار المقدسة:

وفي القرن الأول الميلادي ذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس في كتابه: "ضد أبيون ١:٨" قائمة كاملة بالأسفار المقدسة القانونية التي كانت معروفة في ذلك العصر، وقد عرَّفها بقوله:

[ليس عندنا عدد لا يحصى من الكتب غير المتناسقة والمتعارضة مع بعضها البعض، وإنما اثنان وعشرون كتاباً فقط تحتوي على تسجيل لكل الأزمنة، والتي يوثق في صحتها كل الثقة. منها خمسة أسفار لموسى النبي، والتي تشتمل على أحكام الناموس والتقليد الخاص بأصل البشرية، وتنتهي بموته، وهذه الفترة تقرب من ثلاثة آلاف سنة. ومنذ موت موسى حتى قيام أرتحشستا الذي ملك على الفرس بعد كورش الملك، قام الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى بكتابة الأمور التي حدثت في أيامهم في ثلاثة عشر سفراً. أما الأربعة كتب الباقية فتحتوي على ترانيم لله، وأمثلة للحياة مقدمة للناس. ومن أيام أرتحشستا حتى وقتنا الحاضر، تم تسجيل كل شيء، ولكنها ليست في مكانة ما سبقها من الكتب، لأنه لم يكن هناك تسلسل للأنبياء في ذاك العصر.]

من الواضح أن القانون الذي ذكره يوسيفوس مطابق للقانون

العبري، وإن كان قد أقر بوجود كتب أخرى سجلت الأحداث التي وقعت بين أيام أرتحشستا حتى العصر الذي عاش فيه، إلا أنها ليست في مكانة الكتب التي سبقتها.

ثانياً: شهادة المجامع اليهودية بقانونية الأسفار المقدسة:

وفي أواخر القرن المسيحي الأول (٩٠م) أقر المجمع اليهودي بمدينة يمنيا قانونية الأسفار الاثنين والعشرين التي يشتمل عليها الكتاب المقدس العبري.

ويوجد تقليد يهودي متأخر ينسب تكوين قانون العهد القديم ـ بالنسبة للقسمين الأول والثاني على الأقل ـ إلى مجمع السنهدريم الأكبر الذي أسسه عزرا الكاتب وكان يتكون من كبار مشايخ إسرائيل، وقد ظل هذا المجمع قائماً حتى أيام سمعان القاضي الذي عاش في منتصف القرن الأول قبل الميلاد.

وتدلنا هذه الرواية على أن **قبول الكتب ضمن قانون الكتاب المقدس ليس عملاً فردياً يضطلع به قلة من الشخصيات مهما علا شأنهم، ولكنه مسئولية الكنيسة كلها ممثلة في أجيالها المتعاقبة من القادة الروحيين.**

وعلى هذا الأساس نستطيع أيضاً أن نقرر أنه حتى الكتبة والفريسيون الذين جلسوا على كرسي موسى لم يُترَكوا بدون إشراف الروح القدس وتوجيهه، وأن المسيحيين لا يحتاجون إلى دليل على قانونية أسفار العهد القديم أعظم من القبول الفعلي لها بواسطة الرب يسوع ورسله القديسين.

ثالثاً: شهادة الترجمة السبعينية اليونانية للعهد القديم:

لم يعرف المؤمنون الآتون من الأمم والمنضمون للكنيسة المسيحية كتب العهد القديم إلا من الترجمة اليونانية لهذه الأسفار المعروفة بالترجمة السبعينية، والتي تشمل كتباً متأخرة يرجع بعضها إلى أصل يوناني والبعض الآخر إلى أصل عبري ـ وهي التي ورد ذكرها في أوائل هذا الفصل.

ولقد اقتبس الرسل الذين كتبوا أسفار العهد الجديد من الترجمة السبعينية للعهد القديم، ومن الأسفار القانونية الثانية التي لم تكن مُدرَجة ضمن القانون العبري، ولعل السبب في ذلك هو أن أغلب كتاباتهم كانت موجهة إلى اليونانيين أو إلى اليهود الذين في الشتات المتكلمين باليونانية، الذين يُدعَون بالهيلينيين.

وفي العصر بعد الرسولي نجد صدى لكتب طوبيت ويهوديت ويشوع بن سيراخ في كتاباتهم مثل "تعاليم الرسل" و"رسالة كليمندس". وقد أشار القديس إيرينيئوس إلى تكملة سفر دانيال واقتبس من باروخ تحت اسم إرميا. وفي الجيل التالي اقتبس كليمندس الإسكندري من هذه الأسفار باعتبارها أسفاراً مقدسة.

إلا أنه في بعض المناطق كانت كتب القانون العبري متفوقة على ما سواها منذ البداية، فقد ذكر ميليتو أسقف مدينة ساردس (١٧٠م) قائمة بالكتب القانونية للعهد القديم والذي يؤكد أن ذلك ثمرة بحثه الشخصي في الشرق، وهي متفقة تماماً مع القانون العبري إلا من حيث حذفه لسفر أستير. ولكنه تجاهل تماماً الكتب التي أضيفت في الترجمة

اليونانية. وقد ذكر ميليتو أسماء هذه الكتب اليونانية وبالترتيب اليوناني، مما يدلنا على أنه استخرج بياناته من النسخ الفلسطينية للكتاب المقدس وليس من النسخ الإسكندرانية.

وفي الكنيسة اللاتينية أنكر العلاّمة جيروم (٣٢٩-٤٢٠م) بوضوح في كتابه الشهير *Prologus Galeatus* قانونية الكتب التي أُضيفت على القانون العبري في الترجمة اليونانية، وهو أول من دعاها باسم "أبوكريفا"، وهي كلمة يونانية معناها: "كتب سرية"، ويُقصد بها عادة التعبير عن الغموض الذي يحيط بأصلها. إلا أن الكنيسة اللاتينية لم تأخذ برأيه، ففي مجمع قرطاجنة سنة ٣٩٧م قبلت الكنيسة الأفريقية جزءاً كبيراً من كتب الأبوكريفا. وقد حازت هذه الكتب في العصور الوسطى كثيراً من الانتشار والتقدير الشعبي.

أما الرأي الأرثوذكسي لهذا الأمر فيعلنه القديس أثناسيوس الرسولي البابا الإسكندري العشرون في القرن الرابع الميلادي، معتبراً كتب الأبوكريفا في مرتبة الكتب القانونية الثانية النافعة والجديرة بالقراءة.



الفصل الثالث

الله كما استعلن في العهد القديم

إننا نوجه هنا أنظار الخدَّام وكل طالبي وجه الله إلى أهمية العهد القديم في حياتنا وخدمتنا. فالمبادئ العامة التي تقوم عليها كل العلاقات التي تربط الإنسان بالله قد أُرسيت أصولها الأولى في العهد القديم. فأصبح من المستحيل على إنسان العهد الجديد أن يستمتع بعلائق متينة تربطه بالله على أساس المسيح إلا إذا تعمق أصولها الأولى الضاربة جذورها في كل سفر من أسفار العهد القديم والمتجذِّرة في أعماق روحنا ومزاجنا اللاهوتي الموروث.

وهذا الفصل من الكتاب يقدِّم صورة مبسَّطة لله كما استُعلن لأنبيائه وقديسيه في العهد القديم، والتي إن تمعَّنها القارئ جيداً يستطيع أن يعدِّل كثيراً من أفكاره ومبادئه وسلوكه تجاه الله القدير.

الله كقانون:

العهد القديم كله يُعلن الله قادراً على كل شيء قدرة لانهائية ممتدة على طول المدى والزمن لا يحدُّها فكر الإنسان ولا تضبطها أو تقيسها أية قوة أخرى، فالله يأخذ صفة "القادر" أخذاً مطلقاً لتصير له هذه الصفة اسماً، فهو "القدير".

ولكن في نفس الوقت يوضح العهد القديم كيف يمكن التنبؤ دائماً بما سيعمله الله، فقدرة الله بالرغم من أنها فائقة فهي معقولة ومنطقية لا تتعارض أبداً مع أمانته أو تخالف محبته أو تتجاوز رحمته: «الرب بطيء الغضب وعظيم القدرة ولكنه لا يبرئ البتة. صالح هو الرب حصن في يوم الضيق وهو يعرف المتوكلين عليه. ولكن بطوفان عابر يصنع هلاكاً... وأعداؤه يتبعهم ظلام» (ناحوم ١:٣ و٧ و٨). فأعمال الله كلها فائقة على كل ما يتصوره الإنسان، ولكن بالرغم من ذلك يستطيع الإنسان أن يثق فيها ولا يخاف منها بل ويمكن أن يعتمد عليها وينتظرها ويتعامل معها فيتحقق من صدقها ودقتها، **فتبدو مبدعة على قدر ما هي مخيفة**: «الله ملجأ وقوة، عوناً في الضيقات وُجد شديداً» (مز ٤٦:١). ولكن: «مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي.» (عب ١٠:٣١)

كما أن الله لا يتغير قط في كل ما يقول وفي كل ما يعمل، وفي كل تصرفاته يبقى دائماً هو كما هو، فيستحيل أن يصبح عنده الشر خيراً أو الخير شراً: «هي تبيد وأنت تبقى، وكلها كثوب تبلى، كرداء تغيِّرهن فتتغيَّر، وأنت هو وسنوك لن تنتهي» (مز ١٠٢:٢٦ و٢٧). **لذلك فهو ضابط لقانون النتائج الذي لا يمكن أن يفلت منه إنسان أو شعب أو دولة**: فالذي يزرع الشر يحصد شراً والذي يزرع الريح يحصد الزوبعة: «إنهم يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة» (هوشع ٨:٧)، «حرثتم النفاق، حصدتم الإثم، أكلتم ثمر الكذب.» (هوشع ١٠:١٣)

على هذه الأسس كان يتنبأ الأنبياء ولا يخطئون قط في نبواتهم لأن

الله في نظرهم قبل كل شيء **قانون**: «ليس عنده تغيير ولا ظل دوران» (يع ١:١٧)، يستطيعون أن يقيسوا عليه الحوادث والنتائج يتتبعونها ويفسرونها ويعللونها دون أن تسقط كلمة واحدة: «فأجابني الرب وقال: اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح لكي يركض قارئها، لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد. وفي النهاية تتكلم ولا تكذب. إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر» (حبقوق ٢:٢ و٣)، «إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلا وهو يعلن سرَّه لعبيده الأنبياء» (عاموس ٣:٧). «فإنه هوذا الذي صنع الجبال وخلق الريح وأخبر الإنسان ما هو فكره» (عاموس ٤:١٣)، وقد أثبتوا بنبواتهم التي تمت في حينها وتمت بكل حذافيرها أن الله قد استُعلن فعلاً كقانون ثابت أمين لا يختلّ ولا يحيد. وهذا ما عبَّر عنه المسيح: «أقول لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون» (يو ١٣:١٩). وهكذا تحقَّق الإنسان من ذلك أنه استؤمن فعلاً على سر الله وصار عالماً بالله، دارياً بأحكامه، كاشفاً صفاته وأعماقه، قادراً أن يتنبأ عن أعماله بيقين وذلك نتيجة لثبوت حقيقة معاملات الله وصفاته كقانون.

الله يسخِّر الناموس الطبيعي لتهذيب الإنسان:

لقد استُعلن الله كخالق الكون بكافة مخلوقاته والذي يضبط كل قوانينه، يتحكم في الحر والبرد والرياح والمطر والزلازل والبراكين، ولكن ليس بقانون تحكمي مطلق منفرد. فالإنسان يدخل كشريك مع الله في مسئولية تطبيق هذه القوانين في العالم وعلى كل المخلوقات التي فيه. فشرُّ الإنسان يجعل الأرض الخضراء المثمرة قفراً، وصلاح الإنسان

ومخافته لله يحول القفار إلى جنة: «يجعل الأنهار قفاراً ومجاري المياه معطشة والأرض المثمرة سَبِخة من شر الساكنين فيها، يجعل القفر غدير مياه، وأرضاً يبساً ينابيع مياه... ويعلّي المسكين من الذل ويجعل القبائل مثل قطعان الغنم، يرى ذلك المستقيمون فيفرحون وكل إثم يسد فاه. من كان حكيماً يحفظ هذا ويتعقل مراحم الرب.» (مز ١٠٧:٣٣-٣٥، ٤١-٤٣)

وطاعة الإنسان وخضوعه لوصايا الله تسخِّر له قوى الطبيعة لنضج الثمار وتكاثر الحيوان وتوفُّر المحاصيل كأفضل ما يكون دون أن يمسها مرض أو وباء أو الحشرات المفسدة: «وإن سمعت سمعاً لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه ... مبارَكاً تكون في المدينة ومبارَكاً تكون في الحقل ومباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك... مبارَكة تكون سلتك ومعجنك، مبارَكاً تكون في دخولك ومباركاً تكون في خروجك...» (تث ٢٨:١-١٤)

ولكن العقوبة مُشهَرَة في وجه الإنسان إن هو حاد عن الطاعة لله، فالطبيعة تنقلب كلها عدوة له: يزرع ولا يحصد، وتقف الوحوش والحشرات والأمراض له بالمرصاد: «ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه ـ تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك، ملعوناً تكون في المدينة وملعوناً تكون في الحقل... يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك إذ تركتني...» (تث ٢٨:١٥-٦٨)

وقد استخلص الأنبياء بصورة قاطعة أن القانون الطبيعي مرتبط بالقانون الأخلاقي في حكم الله عامة، وفي مملكة إسرائيل بنوع خاص، ولا يقف أحدهما بمعزل كلي عن الآخر، والله يضبط العالم بمعيار مادي وروحي فائق يتناسب مع صلاح الله الشخصي وفي نفس الوقت يتوافق مع تأديب الإنسان ونموه. وقد كان هذا التهذيب والتأديب الإلهيين بواسطة تطبيق نواميس الطبيعة المادية على حياة الإنسان بمثابة الدرسِ الأول الذي تلقاه الإنسان الطفل الممَّثل في شعب إسرائيل تمهيداً لتطبيق نواميس الروح على الإنسان الناضج الممثل في الكنيسة الروحانية، مما يتمشى مع التطور المطلوب للإنسان من حياة حسب الجسد لحياة حسب الروح!!

الله يصنع التاريخ:

الله يتحكم في علائق الشعوب ومصائرهم دون أن يتأثر بشرِّها أو ينزل إلى مستوى عراكها، فالأمم تظن أنها حرة وأن بقوتها تصنع نجاحاتها وتاريخها، ولكن الحقيقة هي أن الله جعل الأمم عصا تأديب بعضها لبعض، وهو يستخدم حركاتها ليُظهر بها تأديبات مشيئته ويتمم بها مراحم عمله دون أن يكون مسئولاً عن شر أشرارها وقبائحهم: «أشور قضيب غضبي. والعصا في يدهم هي سخطي. على أمة منافقة أرسِله وعلى شعب سخطي (إسرائيل المغضوب عليها) أوصيه ليغتنم غنيمة وينهب نهباً ويجعلهم (بني إسرائيل) مدوسين كطين الأزقة!! ... فيكون متى أكمل السيد كل عمله بجبل صهيون وبأورشليم أني أُعاقب ثمر عظمة قلب ملك أشور وفخر رفعة عينيه.

لأنه قال بقدرة يدي صنعتُ وبحكمتي، لأني فهيم. ونقلت تخوم شعوب ونهبت ذخائرهم وحططتُ الملوك كبَطَلٍ ... (ولكن) هل تفتخر الفأس على القاطع بها أو يتكبر المنشار على مردِّده؟ كأن القضيب يحرك رافعه» (إش ١٠:٥-١٥). فبقدر ما تخضع الشعوب لله بقدر ما تستفيد من مراحم مشيئته، فإن هي اعتزَّت بنفسها انكسرت وانقلب عزها ومجدها إلى تمزق وهوان!

حتى تحركات الشعوب وهجرة الأجناس يضبطها الله لتسير وفق مقاصده العليا، فليست إسرائيل وحدها هي التي أخرجها الله من مصر، فهو أخرج أيضاً الفلسطينيين من مواطنهم الأولى والسوريين (الأراميين) من قير: «ألستم لي كبني الكوشيين يا بني إسرائيل يقول الرب. ألم أُصعد إسرائيل من أرض مصر والفلسطينيين من كفتور والأراميين من قير.» (عا ٩:٧)

الله يحكم على الشعوب وحكمه مطلق، ولكنه يصدره مضبوطاً بمبادئ ثابتة وعلى قياس يمكن إدراكه على طول المدى.

الله أطلق الحرية الكاملة للملوك ورؤساء الشعوب ليتصرفوا كما يشاءون، ولكنه يحاكمهم على كل ما يقترفونه من ظلم أو شر، ثم يحول ظلمهم إلى تأديب وشرهم إلى تهذيب، ولقد يبدو أن كل أمة حرة في ذاتها تتحرك لتصنع تاريخها الخاص، ولكن الحقيقة أنه لا تستطيع أمة أن تتحرك دون أن يكون تحركها ذا تأثير على غيرها وعلى حركة التاريخ كله، والله يوجه جميع تحركات الأمم نحو غاية يتجه لها التاريخ صاغراً وبإحكام.

قد يبدو أن بعض الدول الكبرى تتسلط على مصائر الدول الصغرى وكأنما أطماع البشرية تحرك التاريخ العام وتصنعه، ولكن الحقيقة أن تاريخ العالم لا يمكن أن يتحكم فيه إنسان أو شعب، فالتاريخ ينبثق من إرادة الله من مصدر واحد ويتجه نحو غاية واحدة. وهو وإن كان في مسيره يتأثر بكافة التحركات الطيبة والشريرة، إلا أنه على المدى الطويل تظهر فيه إرادة الله كيدٍ جبارة تستخدم الطيِّب والشرير من الحوادث والأشخاص والحكومات لتصنع من الجميع مصيراً موحداً لشعوب الأرض طراً ينسجم مع إرادة الله وينطق في النهاية بأن الله، والله وحده، هو صانع التاريخ، لأنه هو صانع الإنسان!! «أنا نبوخذنصَّر رفعت عينيَّ إلى السماء فرجع إليَّ عقلي، وباركتُ العلي وسبَّحت وحمدت الحي إلى الأبد الذي سلطانه سلطان أبدي وملكوته إلى دور فدور. وحُسِبَتْ جميع سكان الأرض كلا شيء وهو يفعل كما يشاء في جند السماء وسكان الأرض. ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل؟» (دا ٤ :٣٤و٣٥)

الله بداية ونهاية كل شيء،
ولكن البداية زمنية والنهاية روحية:

بما أن الله هو الخالق للكون وكل الخليقة، فبداية كل شيء كائنة به، كذلك بالضرورة صارت نهاية كل شيء هي أيضاً كائنة ومنتهية إليه!! «أنا هو الألف والياء، الأول والآخر» (رؤ ١ :١١). لذلك، كما كانت لكل شيء بداية، كذلك حتماً سيكون لكل شيء نهاية، وقد أعلن الله أنه هو البداية والنهاية معاً. لذلك، فكما أن الخليقة

والكون وكافة المصنوعات أظهرت لنا الله وأعلنت لاهوته، كذلك فإن الآخرة ستكمل لنا إعلان الله وتظهره: «أمَّا أنا فقد علمت أن وليي حي والآخر على الأرض يقوم. وبعد أن يُفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله.» (أيوب ١٩: ٢٥و٢٦)

نهاية الأمور والحوادث لها مظهران:

مظهر زماني يتعلق بالحاضر الزمني والمستقبل الزمني،

ومظهر غير زماني يتعلق بنهاية العالم.

وفي **المظهر الزماني** يتحكم الله ويعلن سيادته عن طريق الناموس الطبيعي. لذلك صار من السهل على الإنسان إدراك نهاية كافة الأمور والحوادث، لأن كل ما يتحكم فيه الله عن طريق الناموس الطبيعي يتبع حتماً منطق الحق والمعقول، فيدخل ضمن مقدور فهم الإنسان وتقديره: «قد رأيت الشرير عاتياً وارفاً مثل شجرة ناضرة، عَبَرَ فإذا هو ليس بموجود، والتمسته فلم يوجد!!» (مز ٣٧: ٣٥و٣٦)

أما **المظهر غير الزماني** للحوادث والأمور والأشياء التي في العالم فهي تتبع قانون الأخرويات التي تتعلق مباشرة باستعلان الله نفسه كنهاية كل شيء. لذلك فهي فوق المنطق المعقول بل وفوق الحق المتفق عليه، ولا يستطيع الإنسان أن يدركها إدراكاً معقولاً بأي حال من الأحوال. إنما يستطيع فقط أن يحسها كرؤيا مبهمة: «أراه ولكن ليس الآن، أبصره ولكن ليس قريباً» (عدد ٢٤: ١٧). وغالباً ما تكون الرؤية غير معقولة أبداً وغير مصدَّقة إطلاقاً على أساس قياس المنطق ومجريات الأمور الحاضرة. فمثلاً يقول عاموس النبي:

«ويل للذين يشتهون يوم الرب. لماذا لكم يوم الرب؟ هو ظلام لا نور.» (عاموس ٥:١٨)

مفهوم "يوم الرب":

هنا يوضح النبي الالتباس الحاصل في المفهوم الشعبي لحقيقة يوم الرب، أي ملكوت الله. فقد ترجَّوه كنهاية على مستوى زماني، كما يترجون نهاية بقية الحوادث والأمور. فخلطوا بين طبيعة الأشياء المادية وطبيعة الله نفسه. لذلك انتظروا استعلان ملكوت الله على مستوى مملكة زمانية سياسية وطنية، بل وعنصرية أيضاً تشبع أطماعهم. في حين أن استعلان ملكوت الله سيكون على أساس روحي صرف وأخلاقي مُبكِّت وفاضح. لذلك شبهه نفس النبي هكذا: «كما إذا هرب إنسان من أمام الأسد فصادفه الدب، أو دخل البيت ووضع يده على الحائط فلدغته الحية، أليس يوم الرب ظلاماً لا نوراً، وقتاماً ولا نور له؟» (عاموس ٥:١٩و٢٠). ذلك طبعاً بالنسبة للذين يطلبون مجيء الرب ومجيء ملكوته على أساس شهوات وملذات زمنية.

لقد ظن شعب إسرائيل أن مجيء يوم الرب على أساس زمني كنهاية لزمن وبداية لزمن آخر، حيث يكون فيه تحطيم لكافة أعدائهم الذين ضايقوهم ونهاية كل تجبر الأمم حيث يخضع الكل تحت سلطان مملكة إسرائيل بعنق العبودية والمذلة، حتى نظام العالم نفسه سيخضع لهم حينما يعلن الله مجده لهم. وبسبب هذه النظرة الخطرة المزيفة نحو نهاية الأمور والحوادث والعالم، انبرى الأنبياء لتخطئة هذه النظرة بعنف وشدة وأكدوا لهم أن نهاية الأمور الزمانية هي بعينها استعلان الله

نفسه. واستعلان الله معناه استعلان الله الأخلاقي الكامل واستعلان الحق الروحي الذي سيدين به إسرائيل نفسها وليس أعداءها، الذي بمقتضاه وعلى نوره ستحاكَم إسرائيل على كل الشرور والقبائح والعبادات النجسة التي اقترفتها، فيصير يوم الرب يوم خراب لإسرائيل وليس يوم خلاص لها.

فالله أعلن قانونه الأخلاقي الروحي على مستوى الزمان الحاضر عند بداية الأمور وبداية التاريخ وعلى مسير الزمن يوماً فيوماً، وجعل له عقوبة وقصاصاً جزئياً لكل من يخالفه وأقام له من قوانين الطبيعة حارساً ومنتقماً، فكم وكم يكون مرعباً هذا القانون الأخلاقي الروحي عندما يُستعلن لا على مستوى الزمن والطبيعة، أي بالتأديبات الجسدية والمادية، بل على مستوى ظهور الله نفسه كنهاية لكل أعمال الناس وسلوكهم بتأديبات روحية غير مادية؟

الله رب الناموس الأدبي:

الناموس الأدبي يعبِّر عن إرادة الله وطبيعته، فإن كان الله اختصَّ شعب إسرائيل بإعلان ناموسه الأدبي الدقيق والمفصل، إلا أن ناموسه الأدبي العام معروف وشائع، وليس عذر لإنسان ولا لدولة أن تنتهكه أو تتحداه، وقد جعل الله عقوبة صارمة لكل دولة تخرج عن أصوله وتقترف أخطاء أدبية تجاه دولة أخرى، كأن تنتقم منها بدون رحمة، وهو لا يعفي إسرائيل نفسها إن هي تعدت هذا الناموس:

«هكذا قال الرب: من أجل ذنوب دمشق... لا أرجع عنه لأنهم داسوا جلعاد بنوارج من حديد، فأُرسِل ناراً على بيت حزائيل فتأكل

قصور بنهدد وأكسر مغلاق دمشق...

من أجل ذنوب غزة ... لا أرجع عنه، لأنهم سَبَوا سبياً كاملاً لكي يسلموه إلى أدوم، فأرسل ناراً على سور غزة...

من أجل ذنوب صور ... لا أرجع عنه، لأنهم سلموا سبياً كاملاً إلى أدوم و لم يذكروا عهد الإخوة، فأرسل ناراً على سور صور.

من أجل ذنوب أدوم ... لا أرجع لأنه تبع بالسيف أخاه (إسرائيل أثناء خروجهم من مصر) ... فأرسل ناراً على تيمان...

من أجل ذنوب بني عمون ... لا أرجع عنه لأنهم شَقَّوا (بطون) حوامل جلعاد... فأُضرم ناراً على سور ربة...

من أجل ذنوب موآب... لا أرجع عنه لأنهم أحرقوا عظام ملك أدوم (حتى صارت) كلساً فأُرسِل ناراً على موآب...

من أجل ذنوب يهوذا لا أرجع عنهم لأنهم رفضوا ناموس الله و لم يحفظوا فرائضه فأُرسِل ناراً على يهوذا.

من أجل ذنوب إسرائيل... لا أرجع عنه لأنهم باعوا البارَّ بالفضة والبائس لأجل نعلين...» (عاموس ١ و٢)

لذلك، فكل من ينتهك الناموس الأدبي العام هو في الواقع يتعدى على إرادة الله. لذلك فهو حتماً يواجه عقاباً مناسباً، لأن مجرد الاصطدام بإرادة الله هو بحد ذاته خروج على ناموس الحياة بوجهها الطبيعي.

ففي حال ما ينحرف الإنسان أو تنحرف الدولة إلى القسوة أو التجبر أو الظلم مثلاً فإنه يُحسب الإنسان أو تُحسب الدولة أنها تقاوم الله وتتحدى إرادته وطبيعته! وعلى مدى الزمن تتوقع العقوبة بدقة وصرامة حتى يتطهر الإنسان أو تُطهِّر الدولة بالتأديب الصارم من وزر الإثم، وبانكسارها تُكفِّر عن انتهاكها لهذا القانون الحتمي، وفي نفس الوقت لتتزكى إرادة الله وتتبرأ طبيعته من كل لوم.

إن كل إسرائيلي كان يؤمن إيماناً مطلقاً بأن العقوبة هي حتماً ثمن لكل مخالفة أدبية، وذلك من واقع ما اختبره إسرائيل كل أيام حياته من الله. فالله بحد ذاته عرفناه في العهد القديم بمثابة ناموس أدبي كامل وفائق يسود على كافة الخليقة ويتغلغلها، فهو ذو كيان فعَّال في الوجود كله يعمل بقوة فائقة ليصحح كل انحراف بحكم مناسب وتأديب. وحتى أحكام الله وتأديباته التي يتخذها لإقرار ناموسه الأدبي وسيادته تتدرج في قسوتها وشدتها بنسبة إعلان الله لذاته، سواء للإنسان الفرد في الضمير، أو للشعب بالوصايا والأحكام وبتحذير الأنبياء:

+ «اسمعوا هذا القول الذي تكلم به الرب عليكم يا بني إسرائيل على كل القبيلة التي أصعدتها من أرض مصر قائلاً: إياكم فقط عرفتُ من جميع قبائل الأرض، لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم.» (عا ٣: ١-٢)

لا يوجد غير ناموس أدبي واحد يخاطب ضمير الإنسان في كل العالم وفي كافة الشعوب لأنه لا يوجد إلا إله واحد هو الله. هكذا

تقدم التوراة صورة حية لله منذ بدء الخليقة، منذ آدم، كميراث ثمين ورثته كل الشعوب والأجناس. وأما كل ما تدعى آلهة فهي شياطين ولا كيانَ أدبياً لها على الإطلاق.

لذلك، بمقتضى هذا الناموس الأدبي العام وصِلته الكيانية بضمير كل إنسان الذي ورثه الإنسان منذ آدم، إنما على مستويات متفاوتة، سيقف كل إنسان في موقف المسئول أمام الله، الآن بقدر استعلان الله للإنسان سواء بالناموس الكتابي أو بحكم الضمير، وفي النهاية حينما يصير استعلان الله عاماً شاملاً.

الله إله إسرائيل:

إذا تتبعنا العهد القديم نجد أن الله لم يُستعلن إلهاً لشعب إسرائيل بمقتضى وعد شفاهي أو عهد كلامي، ولكن بظهور حقيقي وإعلان ذاتي. فظهور الله لإسرائيل وإعلان نفسه لهم سواء بنـزوله الشخصي على جبل سيناء (أو جبل حوريب) وحديثه معهم، أو بكشف طبيعته لهم بواسطة الوصايا الأخلاقية والناموس الأدبي، أو بإعلانه عن محبته ومساعدته لهم في الضيقات والمخاطر، هذا هو الذي يقرر أن الله كان إله إسرائيل بالفعل. ولكن الله لا يمكن أن يكون إلهاً لشعب دون أن يكون الشعب شعباً لله.

فبقدر إعلان الله لنفسه وطبيعته وناموسه لإسرائيل، بقدر ما أصبح إسرائيل مطالباً بالاستجابة الروحية والأخلاقية والأدبية. وبقدر محبة الله لإسرائيل بقدر ما أدخل الشعب في مسئولية مستمرة أمام الله! اسمع ما يقوله الله لإسرائيل في هذا الصدد: «إياكم فقط عرفت من جميع قبائل

الأرض، لذلك أُعاقبكم على جميع ذنوبكم» (عا ٣:٢). وفعلاً لم يُسمع قط و لم يحدث في كل العالم وبين كافة شعوب الأرض أن أظهر الله نفسه وكشف عن طبيعته وأعلن ذاته وصفاته وحبه ورحمته وقوته وحقه كما صار لشعب الأرض أمام الله وبمقتضى الناموس الأدبي والأخلاقي الذي استُعلن له لكي يكون أكثر الشعوب أمانة لله وأمانة للحق وأمانة للسلوك.

ولكن إسرائيل بعد أن عرفت الله رفضت الله وعبدت آلهة أخرى صنمية.

وبعد أن استُعلنت لها صفات الله الأدبية وناموسه الأخلاقي، هتكت بسلوكها كل الناموس الأدبي والأخلاقي وعملت شروراً وقبائح وفظائع لا يصدقها العقل ولا تقبلها الطبيعة: «يذهب رجل وأبوه إلى صَبِيَّة واحدة حتى يدنِّسوا اسم قدسي.» (عا ٢:٧)

لذلك تحتم أن تُحرم إسرائيل من رحمة الله القدوس لأنها رفضت القداسة، وتحتَّم أن تؤدَّب لأنها قاومت الناموس الأدبي.

كما تحتم أن تُرذل وتُفضح بين شعوب الأرض لأنها رذلت الأخلاق وفضحت الطبيعة الآدمية.

ولكن إسرائيل في خيانتها لإلهها خسرت كل ما كان لها وكل ما وُعِدت به. أما الله فلم يخسر شيئاً، إنما أعلن في رفضه لإسرائيل المحبوبة صرامة ناموس النقمة والتأديب.

الله كان يترجى من مملكة إسرائيل الزمانية استعلان ذاته وملكوته

الأبدي، ولكن إسرائيل رفضت أن يملك عليها الله أدبياً ولاهوتياً معاً، وانحدرت إسرائيل إلى مستوى أقل من الحيوان: «الثور يعرف قانيه والحمار مِعْلَف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف، شعبي لا يفهم.» (إش ١:٣)

فصار حقاً لله أن يأخذ كل ما لإسرائيل ويعطيه للأمم: «من ليس له "الله" فالذي عنده سيؤخذ منه.» (مت ١٣:١٢)

الله وناموس العقوبة والفداء:

لا يقف ناموس العقوبة منفرداً بحد ذاته، هو متعلق صميمياً بالناموسين الأدبي والأخلاقي المنبعثين أيضاً من طبيعة الله وبره، فالإنسان مسئول عما يحل به من عقوبة، بل هو الذي يصنعها لنفسه.

الله يستطيع أن يؤجل العقوبة حتى ينجح الإنسان في إلغائها بالتوبة والمصالحة مع الناموس المجروح، سواء كان الناموس الأدبي أو الأخلاقي. ولكن الله لا يستطيع أن يلغي العقوبة إلغاءً سهلاً بدون قيد ولا شرط، لأن ذلك يتعارض مع طبيعته ويسيء إلى برِّه وإلى كافة نواميسه الأخرى. أي أن العفو عن خطيئة يقترفها الإنسان أو الشعب بدون توبة أو عدم توقيع العقوبة المستحقة يعتبر إجراءً خطيراً ضد ناموس البر، بل ويُحسب هدماً للناموس الأدبي والأخلاقي وهو عمل يخالف طبيعة الله، أي يتعارض مع صلاحه وبره.

فالإنسان أو الشعب إذا أساء إلى الناموس الأدبي أو إلى ناموس الأخلاق فإنه ينشيء أو يخلق في العالم طاقة شريرة حية ومميتة معاً: حية بواسطة الإنسان وفيه، ومميتة لأنها تفصله عن الله مصدر الحياة الأبدية!!

والشر الذي ينطلق من أي إنسان أو أي شعب، لابد أن يعود بعد نهاية المطاف ويلتف حول عنق ذلك الإنسان أو ذلك الشعب، لأن الطاقة الشريرة تعود لتسكن في مصدرها.

ولكن بسبب عامل الزمن والنسيان وقصر النظر الروحي وضعف الإحساس والتمييز الإلهي يعتقد الإنسان أن الشر والعقوبة المترتبة عليه هما فعلان أو حادثان منفصلان قد يلتحمان وقد لا يلتحمان، **ولكنهما في الحقيقة هما وجهان لشيء واحد مهما تباعدا، ولا يفصلهما شيء إلا جهالة الإنسان أو طول أناة الله!**

الله يستحيل أن يصطنع العقوبة أو الإساءة لإنسان أو لشعب. ولكن شر الإنسان أو شر الشعب الذي يعمله ويفكر فيه هو الذي يجلب العقوبة الموازية له تماماً: «قولوا للصديق خير، لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم، ويلٌ للشرير شر، لأن مجازاة يديه تُعمل به.» (إش ٣: ١٠و١١)

والله لا يوقِّع العقوبة على إنسان، ولكنه فقط يستطيع أن يمنعها بشيء من البذل يقدمه هو عن الإنسان: «أنا أفديهم وهم تكلموا عليَّ بكذب» (هوشع ٧: ١٣). فإذا أراد الله أن يعاقب إنساناً أو شعباً على شره، فإنه يتركه لناموس الشر الذي خلقه لنفسه. أما إذا منع الله العقوبة عن إنسان فلا يكون ذلك مجاناً، ولكن الله لابد أن يتحملها عن الإنسان وحينئذ يُقال دائماً: «إن الله **فدى** الإنسان أو الشعب» أي قدَّم الفدية المناسبة عن الشر المعمول لتبرئة الإنسان. والله يقدم الفدية من برِّه الشخصي على المستوى الذي رأيناه في بذل ابنه عن حياة العالم حتى لا يهلك كل من يؤمن به!!

وهناك درجات ومراحل في صنع الشر وتكميل طاقته وإخراجها لحيز الوجود، ولكن قد وُهب للإنسان قدرة الرجوع عن الشر ومقاومته ثم إلغائه بالتوبة والندامة والاعتراف بالخطأ.

وواضح أن التوبة هي توقُّف على طريق الشر في وسط مراحله. لذلك فهي تلغي في الحال كل الدرجات التي كان مزمعاً أن يسير فيها الإنسان وهو متورط في الشر، كما تلغي حتماً كل الآلام والعقوبة المستحقة عن الدرجات التي توقَّف الإنسان عن أن يسير فيها.

ولكن بخصوص الدرجات التي يكون قد سار فيها الإنسان وكملها، فلابد أن تأخذ سيرها وحقها في العقوبة. وهنا يتدخل الله لإطالة الفرصة حتى إذا ثبت توقف الإنسان توقفاً قاطعاً عن الشر الذي تفكَّر فيه أو بدأ به، فالله يتحمل بنفسه عن الإنسان نتائج العقوبة المفروضة ويتبرأ الإنسان نهائياً من كل ما صنع.

وتطبيقاً لهذا الناموس في التوقف عن الشر بالتوبة والاتضاع يقدم لنا العهد القديم مثلاً من أعجب الأمثلة وهو أخآب الذي باع نفسه لعمل الشر في عيني الرب الذي أغوته إيزابل امرأته، الذي جعل الشعب يخطىء. فهذا الملك لما سمع يوماً ما يقوله الله على فم إيليا النبي كيف أنه سيجلب شراً عليه وعلى بيته، يقول الكتاب: «ولما سمع أخآب هذا الكلام شقَّ ثيابه وجعل مُسُحاً على جسده وصام واضطجع بالمسح ومشى بسكوت. فكان كلام الرب إلى إيليا التشبي قائلاً: هل رأيت كيف اتضع أخآب أمامي؟ فمن أجل أنه قد اتضع أمامي لا أجلب الشر في أيامه...» (١مل ٢١:٢٧-٢٨)

وتوجد درجة أو مرحلة من مراحل السير في الشر ومعاندة الله ومقاومة مشيئته إذا تعدَّاها الإنسان أصبح من العسير عليه أن يتوب أو يندم بل ويستحيل عليه أن يقاوم تكميل الشر. ولكن لا يمكن أن يبلغ الإنسان هذه الدرجة دون أن يكون الله قد أرسل صوته بالتحذير بشدة وعنف، إما في الضمير أو بواسطة المنذرين من أولاد الله والأنبياء، إذ تكون هذه الدرجة في الحقيقة هي درجة الموت الأبدي. لذلك يكون التحذير هنا مرعباً ومشروطاً بشرط قاطع: إما التوبة فالصفح، وإما المعاندة فالعقوبة بلا رحمة: «إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض وإن أَبَيْتُمْ وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم» (إش ١:١٩ و٢٠)، «أُشهد عليكم اليوم السماء والأرض. قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا.» (تث ٣٠:١٩)

فإذا رفض الإنسان أو رفض الشعب تحذير الله في هذه المرحلة الحرجة والخطرة، فلابد من العقوبة ووقوع الكارثة، ولكن ليس بدون إحزان قلب الله. فالله وإن كان يسمح بأن يأخذ ناموس العقوبة مجراه إلا أنه أقسم بذاته أنه لا يُسرُّ بموت الخاطئ بل بتوبته (حز ٣٣:١١).

الله وناموس التكفير بالذبائح والطقوس:

كل الذبائح والطقوس في العهد القديم قد نص الوحي الإلهي عنها بكل وضوح أنها لا تكفِّر إلا عن خطيئة السهو والشر غير المتعمد. أما ارتكاب الخطيئة مع سبق الإصرار والشر مع التعمد فلا ينفع فيها التكفير، لا بذبيحة ولا بصلاة طقسية، وعقوبتها هي الموت الحتمي: «كل واحد يموت بذنبه» (إر ٣١:٣٠)، «النفس التي تخطئ هي تموت» (حز ١٨:٤و٢٠)!!

فإذا خضعت إرادة الإنسان للخطيئة والشر بالرضا والتساهل والموافقة الحرة في الضمير، أصبح من العبث الالتجاء إلى الذبائح والقرابين والصلوات الطقسية.

لأن كافة أوامر الله ووصاياه ونواميسه بخصوص تقديم الذبائح والقرابين والصلوات والتطهيرات تعتبر لاغية ولا قيمة لها بالنسبة للإنسان أو للشعب الذي يمارس الخطايا والشرور بتعمد وإصرار واستمرار.

أما خطايا النسيان والسهو فلا تُحسب أصلاً انتهاكاً متعمداً لناموس الله الأدبي أو الأخلاقي. ولا تُحسب أنها مقاومة لمشيئة الله أو إساءة إلى طبيعته وبرِّه. لذلك فالتكفير عنها يمكن أن يكون بوسائط تخرج عن طبيعة الإنسان والله كالذبائحِ. ولكن خطايا العمد مع سبق الإصرار وحرية الإرادة فهي تعتبر أعمالاً معمولة بدوافع تحركها طبيعة الإنسان ضد طبيعة الله ونواميسه الروحية. لذلك فالتكفير عنها لابد أن يشملٍ عملاً يمس طبيعة الإنسان موجهاً نحو طبيعة الله، الأمر الذي بقي معلقاً إلى مجيء المسيح.

أما أي محاولة لتقديم ذبائحٍ حيوانية أو قرابين أو بخور للتكفير عن الخطيئة أو الشر المصنوع عمدا وبالإرادة الحرة وبمسرة النفس، فهذا يُعتبر إهانة لله لأنه يجعل ثمن خروف مذبوح أو قطعة فضية أو كمية بخور يعادل ناموس الله الروحي الأدبي والأخلاقي، ومعنى هذا أننا نضع الأعمال التي هي دون طبيعة الإنسان في مساواة مع طبيعة الله وبره!!

كذلك، فإن الالتجاء إلى الذبائح للتكفير عن خطايا العمد بهذه الصورة التافهة كفيل أن يطمس حساسية الضمير من نحو خطورة طبيعة الشر والخطيئة، كما يطفئ نور الضمير من نحو إدراك سمو بر الله وقداسة طبيعته ويحط من القيم الروحية لنواميسه الأدبية والأخلاقية.

فالله وضع طقس الذبائح للتكفير عن **الخطأ** الحادث سهواً ضد الفرائض والنواميس الجسدية التي حددها ناموس موسى، ولكن ليس الطقس للتكفير عن الخطايا الأخلاقية وتعدي نواميس الله الروحية الأدبية. فدم التيوس والعجول يمكن أن يكفِّر عن سهو تعدي الإنسان أو الشعب لناموس حفظ السبت أو لمس ميت أو قَسَم خاطئ أو حنث في نذر أو لتطهير من مرض أو ولادة إلى آخره، أو حسب تفسير بولس الرسول لناموس الطقوس والفرائض: «دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجَّسين يقدِّس إلى **طهارة الجسد**» (عب ٩:١٣). ولكن يستحيل أن دم تيوس وعجول يكفِّر عن خطيئة التجديف على الله أو قتل عمد أو زنا عمد أو كذب أو قسوة أو ظلم أو طمع أو حب المال أو سحر أو عبادة أوثان مع كافة الخطايا التي يقترفها الإنسان في الضمير ضد الناموس الروحي والأدبي أو الأخلاقي الذي يربط الإنسان بالله!

ومن ذلك نجد أن الله لا يقبل، في العهد القديم، أي ممارسات طقسية أو تأدية أي فرائض عوض الخطية الأدبية والأخلاقية، وذلك لأن طبيعة الخطيئة وأثرها الروحي الخطير على الطبيعة البشرية وإفسادها للعلاقة والصلة التي تربط الإنسان بالله وإساءتها لناموس الله

الروحي، كل ذلك لا علاقة له إطلاقاً بالطقوس والشكليات والفرائض الجسدية والوسائط المادية.

لذلك، فالخطيئة من حيث طبيعتها ومن حيث أثرها الفعَّال المستمر، ومن حيث عقوبتها الحتمية، لا يمكن أن يقوى عليها أو يلغيها طقس أو تعويض بمال أو بذبيحة أو أي شيء في العالم ولا بموت الإنسان نفسه: «لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب. اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات. وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أُسر. حينما تأتون لتظهروا أمامي، مَنْ طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري؟ لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي. رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي. صارت عليَّ ثقلاً. مللت حملها، فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم. وإن كثرتم الصلاة لا أسمع. أيديكم ملآنة دماً.» (إش ١:١١-١٥)

وقد ظل كل تقدم في معرفة الله، وكل تقدم في عبادته وكل محاولة للتقرب إلى الله وتقديس النفس له يواجه ـ سواء في البداية أو في النهاية على مدى أسفار العهد القديم كله ـ مشكلة التكفير عن الخطيئة الإرادية!! وهكذا ظلت مشكلة التكفير عن الخطيئة العمدية أي الإرادية سؤالاً محيِّراً حزيناً لا جواب له على مدى تاريخ إسرائيل كله، مشيراً إلى عجز العبادة الطقسية والفرائضية وقصورها الروحي متطلعاً إلى شخصية المسيا القادم كصاحب الحل الوحيد لها.

الأب متى المسكين

الفصل الرابع

العهد الجديد: كيف كتبت أسفاره

رسالة العهد الجديد مرتبطة بشخص المسيح نفسه كلمة الله:

تختلف رسالة أسفار العهد القديم في أصلها عن رسالة العهد الجديد. فرسالة العهد القديم تأسست على كلمة الله المدوَّنة بإصبع الله في لوحي العهد اللذين تسلمهما موسى من الله نيابة عن شعب إسرائيل لتكون لهم فريضة أبدية يحيون بها إذا حفظوها، وإذا خالفوها كانت سبب لعنة وموت. وحول الوصايا العشر في لوحي العهد تجمعت سائر الكتابات المقدسة التي أمر الله موسى وغيره من أنبياء العهد القديم أن يكتبوها ويقرأوها في مسامع الشعب ويحفظوها بجوار التابوت لتكون شاهداً عليهم إذا هم نقضوها.

أما شريعة العهد الجديد فهي بخلاف ذلك تماماً. فلم يهتم المسيح أن يترك للعالم شريعة مكتوبة لأحكامه ووصاياه؛ بل لم يكن هذا هدفه على الإطلاق، **وإنما كان كل تركيز المسيح على شخصه المبارك باعتباره هو مصدر الشريعة وواهب ناموس الحياة، الذي أعطى مع الكلمة روحه القدوس ليثبِّتها في قلوب تلاميذه ويجعلها روحاً وحياة ويمدها بالقوة والفاعلية.**

على أنه لا ينبغي أن يغيب عن بالنا قط أن المسيح هو «كلمة الله»

الذي «صار جسداً وحلَّ بيننا ورأينا مجده» (يو ١ :١٤). لأن الله كان قد «أعطى الناموس بموسى» و«كلَّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، فإنه كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه». فالمسيح هو هو الكلمة الحية، فهو إنجيلنا الذي نحيا به.

من أجل ذلك لم يترك لنا الرب يسوع كلاماً مكتوباً في ألواح حجرية، أو بحبر وورق! بل حياة إلهية عاشها وسلمها لنا على أيدي رسله وتلاميذه، هذه هي التي وصفوها وكتبوها فصارت «إنجيل يسوع المسيح» الذي كرز به الرسل بالفعل والقول.

وهكذا تمت نبوة إرميا النبي عن العهد الجديد: «ها أيام تأتي يقول الرب... أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً. ولا يُعلِّمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرب.» (إر ٣١ :٣١-٣٤)

هذه هي الشريعة الحية التي صارت للمؤمنين بالمسيح بالتسليم كرائحة حياة لحياة، تنغرس في قلوب المؤمنين بشهادة الروح القدس كتقليد مُسلَّم لا يزول. وهي التي قال عنها القديس إيرينيئوس أسقف ليون في القرن الثاني الميلادي واصفاً إيمان الفرنسيين:

[هؤلاءِ الغاليون (الآن الفرنسيون) يؤمنون ولهم خلاصهم مكتوباً في قلوبهم بالروح بدون حبر وورق ـ وباعتناء شديد يحفظون التقليد القديم... وقد آمنوا وليس عندهم أية وثائق

مكتوبة.](١)

والأسقف يوسابيوس أبو التاريخ الكنسي الذي عاش في القرون الأولى للمسيحية (٢٦٤-٣٤٠م)، يصف كرازة الرسل قائلاً:

[فإن أولئك الرجال العظماء اللاهوتيين حقاً، أقصد رسل المسيح، تطهرت حياتهم وتزينوا بكل فضيلة في نفوسهم، ولكنهم لم يكونوا فصيحي اللسان، ولقد كانوا واثقين كل الثقة من السلطان الإلهي الصانع العجائب الذي منحه المخلص، ولكنهم لم يعرفوا ـ ولم يحاولوا أن يعرفوا ـ كيف يذيعون تعاليم معلمهم بلغة فصحى بل استخدموا فقط إعلانات روح الله العامل معهم، وسلطان المسيح الصانع العجائب الذي كان يظهر فيهم، وبذلك أذاعوا معرفة ملكوت السموات في كل العالم غير مفكرين كثيراً في تأليف الكتب.](٢)

الكنيسة المسيحية وكتب العهد القديم:

وهكذا نشأت المسيحية وانتشرت ولم يكن لها في البداية كتب مقدسة خاصة بها سوى كتب العهد القديم التي ورثتها الكنيسة عن المجمع اليهودي. وكانت نظرة الكنيسة إلى هذه الكتب مبنية على نظرة الرب يسوع المسيح نفسه الذي كان يتخذها دائماً كأساس جاء ليكمله ويبني عليه لا لينقضه، ولكي يحقق كل ما ورد فيها من وعود ونبوات ورموز

(١) تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ٥ : ٢٠ : ٤-٧.

(٢) شرحه ٣ : ٢٤ : ٣.

تمت كلها في شخصه ولم يكن ممكناً أن تتم إلا فيه. وتبعه في ذلك تلاميذه الذين «فتح ذهنهم ليفهموا الكتب» (لو ٢٤:٤٥)، ولم تكن هذه الكتب سوى «ناموس موسى والأنبياء والمزامير» التي ابتدأ منها «يفسر لهم الأمور المختصة به» (لو ٢٤:٢٧). ثم أوصاهم ـ فيما هو مرتفع عنهم إلى السماء ـ أن «اذهبوا وتلمذوا جميع الأُمم... وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به.» (مت ٢٨:١٩-٢٠)

وهكذا استلمت الكنيسة من الرب يسوع نفسه ومن رسله القديسين ـ الذين صاروا شهوداً له في كل العالم ـ قدسية أسفار العهد القديم وسلطانها باعتبارها كلمة الله الموحى بها. **وظلت الكنيسة زهاء نصف قرن من الزمان تعتمد كلية على تقليدها الشفاهي في البشارة بالمسيح والمناداة بأعماله وتعاليمه على يد الرسل والتلاميذ الذين عاينوا شخص الرب وسمعوا كلاماً من فمه**. وكانوا يعتمدون على أسفار العهد القديم لبرهان كل الأمور التي أكملها الرب يسوع من أجل خلاص العالم، فكانت النبوّات ذات قيمة عظمى حتى أن معلمنا بطرس الرسول اعتبرها «أثبتَ» من شهادة الذين رأوا وسمعوا: «ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء إذ كُنَّا معه في الجبل المقدس. **وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها** كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم.» (٢بط ١:١٨و١٩)

تاريخ كتابة أسفار العهد الجديد:

كان أول ما كُتب من أسفار العهد الجديد بصفة عامة هو الرسائل التي بعث بها الرسل إلى الكنائس المؤسَّسة حديثاً لتثبيت ما سبق أن تلقنوه شفاهاً، ولتصحيح الأخطاء التي تسربت إليهم سواء من جهة السلوك أو العقيدة، وللرد على أسئلتهم التي بعثوا بها طالبين المشورة والتوجيه.

وكانت الكنيسة الأولى وهي في انتظار عودة الرب ومجيئه الثاني، تعيش حياة ملتهبة حارة لا تعمل حساباً لشيء إلا لملكوت الله الآتي سريعاً. فلما أشرف الجيل المسيحي الأول على الانقراض، آنئذ فقط اهتموا بتسجيل أقوال الرب وأعماله، وجمع ذكريات من شهدوا عياناً كرازة الرب يسوع على الأرض وموته وقيامته وصعوده إلى السموات، وهكذا كانت الأناجيل.

ثم استحث الروح لوقا الرسول لتسجيل التطور التاريخي لنمو كلمة الله وانتشار ملكوت المسيح في كل الأرض بواسطة كرازة الرسل، كتكملة لإنجيله، فصار بذلك سفر أعمال الرسل.

وأخيراً سفر الرؤيا وهو سفر نبوي يقابل سفر دانيال في العهد القديم، ويوجهه كاتبه «يوحنا إلى السبع الكنائس التي في آسيا...» عن الأزمنة الأخيرة التي تسبق مجيء المسيح الثاني في ملكوته الأبدي.

وهكذا يمكن تقسيم أسفار العهد الجديد إلى ثلاث فئات:

أولاً: أسفار مختصة بالوقائع التاريخية التي كانت أساس الكرازة

الرسولية وهي الأربعة الأناجيل وأعمال الرسل. وكُتبت في أواخر الجيل الأول المسيحي.

ثانياً: رسائل تعليمية في أمور العقيدة والسلوك المسيحي؛ وهي رسائل بولس الرسول والرسائل الجامعة. وهي أول ما كُتِب بصفة عامة.

ثالثاً: سفر نبوي رؤيوي وهو سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي، وكُتب في أواخر القرن الأول.

أما من ناحية **الترتيب الزمني لكتابة الأسفار** فهي ليست كما توجد في الكتاب المقدس الذي بين أيدينا، فإن أقدم النصوص المكتوبة التي لدينا هي رسائل بولس الرسول. ولا شك أنه من الصعب تحديد الزمن الفعلي لكتابة هذه الأسفار حيث أنها لا تحمل تاريخاً لكتابتها، ولكننا نستطيع أن نستنتج ذلك على وجه التقريب من الإشارات التي وردت في بعض هذه الأسفار عن غيرها، أو من الاقتباسات والفصول المشتركة بين الأسفار وبعضها، أو من العلاقات التاريخية بين الأحداث الزمنية والوقائع الدينية المذكورة في هذه الأسفار.

ومثال لذلك، الإشارة التي جاءت في رسالة بطرس الرسول الثانية عن رسائل بولس الرسول: «كما كَتَبَ إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له. كما في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور» (٢بط ٣:١٥ و١٦). ومنها يمكننا أن نعرف أن بطرس الرسول كتب رسائله بعد أن أصبحت رسائل بولس الرسول

شائعة ومتداولة بين الكنائس، وذلك في أواخر أيامه سنة ٦٧م.

كذلك من الأحداث المذكورة في سفر أعمال الرسل بمطابقتها مع الأحداث التاريخية المعروفة، يمكننا أن نحدد على وجه التقريب زمان كتابة رسائل بولس الرسول، خصوصاً إذا لاحظنا التقارب الفكري في أسلوب التعبير الظاهر بين بعضها. ويُحتمل أن يكون ترتيبها الزمني على النحو الآتي:

الرسالتان إلى تسالونيكي (٥٢-٥٣م)، وقد كُتبتا خلال رحلته الثانية. ثم الرسالتان إلى كورنثوس (٥٧م)، والرسالة إلى غلاطية (٥٨م)، والرسالة إلى رومية (٥٨م) وقد كُتبت خلال رحلته الثالثة. وهذه الثلاث رسائل تسمى الرسائل الكبرى. ثم الرسالة إلى فيلبي (٦١م) والرسائل إلى أفسس وكولوسي وفليمون (٦٣م) وهي التي كتبها أثناء سجنه في روما.

ثم المجموعة الأخيرة من الرسائل وتسمى الرسائل الرعوية وتشمل الرسالتين إلى تيموثاوس (٦٦-٦٧م) والرسالة إلى تيطس (٦٦م)، التي كتبها بعد خروجه من السجن.

أما الرسالة إلى العبرانيين فيُظن أنها كُتبت سنة ٦٧م. أي أن رسائل بولس الرسول كُتبت بين سنة ٥٢ وسنة ٦٧م.

أما الأناجيل فقد استُنتج من التطابق القوي بين الأناجيل الثلاثة الأولى، أن هناك مصدراً واحداً استقى منه كل من متى الرسول ومرقس الإنجيلي ولوقا الإنجيلي شهادتهم. ومن الأمور المتفق عليها بصورة عامة الآن أن إنجيل مرقس هو أول الأناجيل التي كُتبت، وأن

إنجيلي متى ولوقا قد كُتبا بعده ببضع سنين قليلة، متتبعين نفس تسلسل الحوادث كما جاءت في إنجيل مرقس، بعد أن أضافا إليها الحقائق الأخرى الثابتة. ويُرجَّح أنهما استخدما مجموعة لـ"**أقوال يسوع**" كانت تتناقلها الكنائس منذ زمن ما. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان لكل منهما مصادر أخرى خاصة به: عيانية أو شفوية أو كتابية. إلا أنه قد اختلف الباحثون في تحديد زمن كتابة هذه الأناجيل اختلافاً كبيراً، فتراوحت آراؤهم حول هذا التاريخ بأنه بين سنة ٤٠ إلى سنة ٧٠م، ولكن المرجح أخيراً هو ما قبل سنة ٧٠م بسنوات قليلة.

أما إنجيل يوحنا فقد كُتب في أواخر القرن الأول، ويتحدث فيه كشاهد عيان لأنه كان من الذين رافقوا الرب ومن المقرَّبين إلى قلبه (يو ٣:٢٣). ويظهر في نسق إنجيله استقلال كبير عن المصادر السابقة له، وواضح أنه ابتغى تكميلها. لأن الإنجيليين الثلاثة دوَّنوا الأعمال التي أكملها المخلص بعد سجن يوحنا المعمدان بسنة، وبيَّنوا هذا في بداية رواياتهم. أما يوحنا فيذكر في بداية إنجيله: «هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل» (يو ٢:١١). ويقول أيضاً: «لأنه لم يكن يوحنا قد أُلقي بعد في السجن» (يو ٣:٢٤). أما الغرض من كتابة إنجيله فهو لتثبيت الإيمان بلاهوت المسيح بصفته ابن الله المتجسد، إذ أن يوحنا الرسول عاصر في أواخر أيامه كثيراً من البدع والتعاليم المُضلَّة.

وقد كتب أيضاً رسائله الثلاث في حدود هذه الفترة من الزمان، إذ يصل التشابه بينها وبين الإنجيل، ليس فقط في الأفكار والتعابير وإنما

أيضاً في العديد من الموضوعات الرئيسية، وكأنها أخذت على عاتقها أيضاً الحقائق الكبرى التي يُعتبر الإنجيل الوعاء التاريخي لها.

وقد نسبت أقدم الشهادات سفر الرؤيا إلى يوحنا الرسول أيضاً، ويحدد القديس إيرينيئوس ـ من القرن الثاني ـ تاريخ كتابة هذا السفر في غضون عام ٩٥م، أي في أواخر حكم دوميتيان عندما كان يوحنا الرسول منفياً في جزيرة بطمس.

ومن الواضح تماماً من مقدمة سفر أعمال الرسل أن كاتب إنجيل لوقا هو نفسه الذي كتب سفر الأعمال بصفته عملاً مكملاً لإنجيله، ويبدو أنهما كانا كتاباً واحداً من جزئين كتبهما «على التوالي» كما ذكر في مقدمة سفر أعمال الرسل.

أما رسالة يعقوب الرسول فيُظن أنه كتبها حوالي سنة ٦٠م، أي بعد إطلاعه على رسالة بولس الرسول إلى رومية، إذ يظهر من رسالته كأنه يحاول أن يوضح قصد الرسول بولس من التبرير بالإيمان حتى لا يُفهَم أنه ينفي أهمية الأعمال التي هي ثمرة للإيمان الحقيقي لأن «الإيمان بدون أعمال ميت.» (يع ٢ : ٢٠)

أما رسالة يهوذا الرسول فيوجد بينها وبين رسالة بطرس الرسول الثانية فقرات مشتركة، مما يدل على أن أحدهما قد أخذ عن الآخر. فلعل يهوذا الرسول قد كتب رسالته بعد رسالة بطرس الرسول الثانية وربما قبلها.



الفصل الخامس

كيف وصلت أسفار العهد الجديد إلينا؟

١ ـ المجموعات الأولى:

على الرغم من أن التواريخ التي تحققناها لكتابة مختلف أسفار العهد الجديد ليست سوى تواريخ تقريبية، إلا أنها كافية لتقرير الواقع **أن سنين عديدة من العمل الرسولي الشاق قد انقضت قبل أن يبدأ أي رسول بكتابة أول سفر من أسفاره.** وفي خلال هذه السنين تأسست كنائس كثيرة في مختلف بلدان العالم شرقاً وغرباً. **وهكذا يتضح أن تأسيس الكنائس وإقامة أساقفة وقسوس «أمناء يكونون أكفاء أن يعلِّموا آخرين أيضاً»** (**٢تي ٢:٢**) **كان هو العمل الرئيسي للرسل.**

وكان المسيحيون الأوائل يتقبلون إيمانهم من أولئك الذين شهدوا لهم: «الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة... نخبركم به» (١يو ١:١و٣). لذلك فلم يكونوا في حاجة إلى شهادة مكتوبة لأن الشهادة الحية كانت بين أيديهم. أما الكتابات الرسولية فكانت لمعالجة ظروف طارئة حلَّت بكنائس محددة، فكانت الرسائل بصفة خاصة تحمل الطابع المؤقت الذي يتعلق بالزمان والمكان الذي كُتبت من أجله، إلا أن **هذه الكتابات ظلت محتفظة بقيمتها**

العظمى التي اكتسبتها بانتسابها إلى الرسل الذين كتبوها، لأن الكنيسة في كل جيل وفي كل مكان تحتاج إلى خبرات الماضي لكي تستوعبها في حاضرها، وإن اختلف شكلها التاريخي إلا أنها جميعا تتفق في حاجتها وفي هدفها الواحد. لذلك فإننا نلاحظ **أن نسخاً من كتابات الرسل كانت تتداول بين الكنائس للمنفعة**. ويُعتبرَ بولس الرسول أول من شجع على تبادل رسائله بين الكنائس حينما قال في رسالته إلى كولوسي: «**ومتى قُرِئت عندكم هذه الرسالة فاجعلوها تُقرأ أيضاً في كنيسة اللاودكيين والتي من لاودكية تقرأونها أنتم أيضاً.**» (كو ٤:١٦)

وفي الرسالة الثانية لبطرس يمكن أن نستشف دليلاً على أن مجموعة رسائل بولس الرسول كانت معروفة لدى المسيحيين بصفة عامة حينذاك أي حوالي سنة ٦٧م:

«كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له. كما في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور. التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم.» (٢بط ٣:١٥-١٦)

وتُعتبر هذه أيضاً شهادة لقانونية رسائل بولس الرسول ومساواتها "بباقي الكتب" المقدسة أي أسفار العهد القديم.

ويتبين لنا عادة المسيحيين في تلك الأيام بالتحفظ بكل حرص على الكتابات الخاصة بعقائدهم وبالأخص إذا كانت صادرة من قادتهم

الروحيين، وتبادلهم لها للمنفعة، ما جاء في رسالة للقديس بوليكاربوس أسقف سميرنا في القرن الثاني قال فيها:

[إن رسائل إغناطيوس (أسقف أنطاكية الشهيد) التي أُرسِلَت منه إلينا، وغيرها أيضاً كثير مما لدينا، قد بعثنا بها إليكم حسب طلبكم، وأرفقناها بهذه الرسالة، التي منها ستحصلون على منفعة جزيلة.](١)

وكذلك يشهد القديس غريغوريوس أنه كان لدى القديس بوليكاربوس جميع رسائل بولس الرسول، ورسالة بطرس الرسول الأولى، ورسالة يوحنا الرسول الأولى، وإنجيل متى وربما بقية الأناجيل الأربعة أيضاً.

كما يوجد في رسالة القديس كليمندس الروماني إلى الكورنثيين التي كُتبت في حوالي سنة ٩٥م، ما يدل بوضوح على درايتهم بمجموعة رسائل بولس الرسول.

أما الأناجيل الثلاثة المتوازية (أو الإزائية): متى ومرقس ولوقا، فقد كانت معروفة حسب أقدم الشهادات منذ أواخر القرن الأول الميلادي، وأضيف عليها إنجيل يوحنا سنة ٩٥م. ولم تلبث أن ضُمَّت الأناجيل الأربعة في مجلد واحد حوالي سنة ١٢٠م. **ولم يمضِ جيل من الزمان ـ أي في حوالي سنة ١٥٠م ـ حتى صارت تُقرأ في أوقات**

(١) رسالة بوليكاربوس إلى فيلبي ١٣.

الخدمة أثناء العبادة الجمهورية في روما، جنباً إلى جنب مع أسفار الأنبياء من العهد القديم.

ومن الشهادات الهامة على وجود هذه الكتب المقدسة المسيحية في كثير من بلدان الشرق وبالأخص بلاد مصر أثناء العصر الرسولي، تلك التي ذكرها الأسقف يوسابيوس القيصري المؤرخ الكنسي من القرن الثالث، على لسان فيلو المؤرخ اليهودي الإسكندري الذي عاصر الرسل، إذ **كتب يشرح ما رآه في صحارى مصر عن نساكها، وكيف أنهم كانوا يقرأون في كتابات القدماء من مؤسسي جماعتهم. ويفسر ذلك يوسابيوس قائلاً: إنها هي الأناجيل وكتابات الرسل وربما تفسير بعض النبوّات القديمة كما تتضمنه الرسالة إلى العبرانيين والكثير من رسائل بولس.**(٢)

وفي حوالي سنة ١٤٠م، ظهر رجل مبتدع اسمه ماركيون، من أهالي بلاد بنطس بآسيا الصغرى، دفعته غيرته ــ في بداية الأمر ــ على توحيد الكنائس المتفرقة والتخلص من اليهودية، أن ينادي بإحلال الأسفار المسيحية محل الأسفار اليهودية أثناء ممارسة الخدمات الدينية. وكان لا يعترف إلا بإنجيل لوقا وعشرة رسائل لبولس الرسول. إلا أن دعوته هذه أسفرت عن تثبيت الأناجيل الأربعة ورسائل بولس الرسول بجانب أسفار الأنبياء كما يشهد بذلك أثيناغوراس الأثيني من الآباء المعروفين بالآباء المدافعين (١٧٧م). ولكننا نلاحظ أنه حتى ذلك الوقت كانت

---

(٢) يوسابيوس، **التاريخ الكنسي** ٢ : ١٧ : ١٢.

أسفار الأنبياء تحتل المكانة الأولى في بعض الكنائس وتليها الأناجيل ثم رسائل بولس الرسول، كما يبين ذلك القديس ثاوفيلس الأنطاكي عن الوضع القائم على أيامه في مدينة أنطاكية (١٨٠-١٩٠م).

إذن، فقد بدأت أسفار العهد الجديد باعتبارها رسائل خاصة بكل كنيسة، ثم تناقلتها الكنائس فيما بينها فتكونت منها مجموعات غير كاملة، وذلك قبل أن تتجمع في النهاية لدى كل كنيسة المجموعة الكاملة لكل الأسفار المعترف بها، إذ أن هذا الوضع النهائي استغرق زماناً طويلاً للوصول إليه، حتى أنه لم يتم إلا في أواخر القرن الثالث الميلادي.

٢ ـ بداية تكوين قانون العهد الجديد:

لم ينصرم القرن الثاني المسيحي حتى بدأت سماء الكنيسة تتلبد بغيوم البدع والهرطقات مثل: الدوسيتية، والماركيونية، والغنوسية، والمونتانية؛ مما دعا آباء الكنيسة إلى بذل قصارى جهدهم لتثبيت الإيمان وتوضيحه. فقامت حركة عامة من التعاون بين سائر كنائس العالم لتقييم الكتابات والمعتقدات الدينية وتحديد قانونيتها. **ومنذ ذلك الحين بدأت الكتابات الرسولية تستقر على وضعها القانوني في كل كنيسة باعتبارها كتباً مقدسة موحى بها تُقرأ جنباً إلى جنب مع كتب العهد القديم. وكانت الأناجيل ورسائل بولس الرسول هي أولى المجموعات التي احتلت مكانها من التقديس في العبادة الجمهورية**، بالإضافة إلى سفر أعمال الرسل ورسالتين أو ثلاثة أو أربعة من الرسائل المنسوبة إلى بطرس أو يوحنا أو يهوذا الرسول، وكذلك سفر الرؤيا.

أما **المصادر** التي نستقي منها أخبار تلك المرحلة من تطور قانون العهد الجديد فهم: القديس إيرينيئوس، والعلامة ترتليان، والمخطوطة الموراتورية التي ترجع إلى القرن الثاني وتضم قائمة بأسفار العهد الجديد المعروفة حينذاك.

فقد كتب **القديس إيرينيئوس أسقف ليون** "دفاعه ضد الغنوسية" بين عام ١٨٠-١٨٩م، وأقر فيه بوجود رسائل: بطرس الأولى ويوحنا الأولى والثانية والثالثة، كما اعترف بقانونية سفر رؤيا يوحنا وكتاب "الراعي" لهرماس.

أما العلاَّمة **ترتليان أسقف قرطاجنة** فقد ذكر في كتاباته التي ألفها سنة ١٩٧-٢٢٣م رسائل بطرس الأولى ويوحنا الأولى ويهوذا باعتبارها أسفاراً مقدسة، وكذلك سفر الرؤيا والراعي لهرماس، إلا أنه أنكر فيما بعد اعترافه بقانونية كتاب الراعي لهرماس.

أما **المخطوطة الموراتورية**(٣)، فلا يُعرف كاتبها، إلا أنه يحتمل أن تكون بيد فيكتور أسقف روما سنة ٢٠٠م، الذي يُبيِّن فيها القانون الروماني لأسفار العهد الجديد في ذاك الزمان، وهي تشمل بجانب الأناجيل ورسائل بولس الرسول، رسالتين ليوحنا ورسالة لبطرس الرسول، وسفر الرؤيا ليوحنا وآخر لبطرس. ولكنها لم تسمح بقراءة رؤيا بطرس في الكنيسة مما يدل على عدم ثبوت قانونيتها.

---

(٣) وقد سُمِّيت بهذا الاسم نسبة إلى مكتشفها الإيطالي الذي طبعها عن مخطوطة قديمة عثر عليها في مدينة ميلانو سنة ١٧٤٠م.

يتضح من ذلك أن كنائس ليون بفرنسا وقرطاجنة بشمال أفريقيا وروما بإيطاليا لم يكونوا على اتفاق تام من جهة الأسفار القانونية للعهد الجديد حتى أواخر القرن الثاني، إلا أن الاختلاف لم يكن سوى على بعض الرسائل الجامعة، وعدة أسفار غير قانونية كانت متداولة حينذاك. ولا شك أن ذلك كان بسبب صعوبة الاتصال المباشر لتبادل الدراسات والخبرات بين مختلف الكنائس بصورة فعالة.

٣ ــ القانون الإسكندري للعهد الجديد:

شهدت السنين الأخيرة من القرن الثاني حتى بداية القرن الثالث الميلادي نشاطاً كبيراً في مدرسة الإسكندرية الشهيرة التي كان يرأسها حينذاك العلاَّمة **كليمندس الإسكندري**. ويتبين من كتاباته أنه كان يعترف بعدد كبير من أسفار العهد الجديد أكثر مما كانت تعترف به كنيسة روما. فقد ذكر الأناجيل الأربعة ورسائل بولس الرسول الأربع عشرة وسفر أعمال الرسل ورسائل: بطرس الأولى ويوحنا الأولى والثانية ويهوذا، وسفر الرؤيا. ولكنه أضاف إليها أيضاً رسائل كليمندس الروماني وبرنابا الرسول باعتبارها كتابات ذات سلطان رسولي.

وبعد كليمندس قام العلاَّمة **أوريجانوس** رئيساً على مدرسة الإسكندرية وهو بعد في الثامنة عشرة من عمره، وظل خمسين سنة يكتب ويعلم في الإسكندرية أولاً ثم في قيصرية. وقد آزره صديق غني يدعى أمبروسيوس بجماعة من الكتبة والنساخ حتى أن كل ما كتبه كان يُنسخ في الحال، فصار أوريجانوس أكثر علماء المسيحية إنتاجاً في التأليف. ولقد تحقق لأول وهلة من المشكلة التي تعانيها كنائس العالم بخصوص الأسفار القانونية للعهد

الجديد. ولكنه بدل أن يجد حلاً للمشكلة، أخذ في تحليلها أولاً بأن قسَّم الأسفار إلى قسمين: "أسفاراً معتمدة" و"أسفاراً تحت البحث".

وقد حصر الأسفار المعتمدة ـ أي المعترف بها من جميع الكنائس ـ في اثنين وعشرين سفراً وهي: الأناجيل الأربعة، ورسائل بولس الرسول الأربعة عشر، وأعمال الرسل، ورسالتان جامعتان واحدة لبطرس والأخرى ليوحنا، وسفر الرؤيا.

أما الأسفار التي تحت البحث فهي: رسالة يعقوب والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يهوذا ورسالة بطرس الثانية ورسالة برنابا. كما أضاف إليها كتاب الراعي لهرماس.

ويلاحظ أن نفس هذه الأسفار في مجموعها تتضمنها "المخطوطة السينائية"، وهي أقدم مخطوطة باليونانية للكتاب المقدس كله، عُثر عليها في سيناء ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع(*)، أي بعد انتقال أوريجانوس بقرن من الزمان، وهي تنتهي برسالة برنابا وكتاب الراعي لهرماس.

وبعد أوريجانوس رأس مدرسة الإسكندرية القديس **ديونيسيوس** سنة ٢٣١م حتى سنة ٢٣٧م عندما اختير بابا الإسكندرية. وقد كان لهذا القديس رأي في سفر الرؤيا بأنه ليس ليوحنا الرسول كاتب إنجيل يوحنا، وإنما ليوحنا آخر كان معاصراً له أيام إقامته في مدينة أفسس. وعلى الرغم من تقديره العظيم لهذا السفر، إلا أنه أعطى رأيه الشخصي

(*) انظر صورة لها في ملزمة الصور.

في بعض الأسفار التي تحت البحث، فانتهى به الأمر إلى الاعتراف بنفس الأسفار التي لدينا الآن.

ولم يحسِم الأمر بخصوص القانون الإسكندري لأسفار العهد الجديد سوى **القديس أثناسيوس الرسولي** بابا الإسكندرية العشرون، فقد أورد في رسالته الفصحية السنوية التي بعث بها إلى سائر بلاد كرسيه سنة ٣٦٧م، قائمة بالأسفار الإلهية المعترف بها. فشملت أسفار العهد الجديد التي ذكرها: الأناجيل الأربعة، سفر أعمال الرسل، والسبعة الرسائل الجامعة، والأربعة عشر رسالة لبولس الرسول، وسفر الرؤيا. وهي نفس الأسفار التي استقرت عليها الكنيسة في جميع أنحاء العالم فيما بعد حتى يومنا هذا. وقد أضاف القديس أثناسيوس قائمة أخرى من الأسفار قال عنها: "إنها تصلح لأولئك الذين يُقبِلون حديثاً ليتلقنوا التعليم الديني الشفاهي". وتضم هذه القائمة خمسة أسفار العهد القديم الأبوكريفا، وتعاليم الرسل وكتاب الراعي لهرماس.

٤ ـ القانون الروماني للعهد الجديد:

كان معاصراً لأوريجانوس في روما رجل اسمه **هيبوليتس** تلميذ إيرينيئوس، الذي قَبِلَ مثل معلمه اثنين وعشرين سفراً فقط للعهد الجديد، إذ أنه لم يعترف بالرسالة إلى العبرانيين لأن كاتبها غير معروف، ولم يقبل سوى ثلاث رسائل جامعة وهي: بطرس الأولى ويوحنا الأولى والثانية. إلا أنه أقر باستخدامه لكتابات مسيحية أخرى كان يعتبرها البعض الآخر قانونية، منها الرسالة إلى العبرانيين ورسائل بطرس الثانية ويعقوب ويهوذا وكتاب "الراعي" لهرماس.

وقد كان النقاش في الغرب دائراً حول قانونية الرسالة إلى العبرانيين وليس سفر الرؤيا كما كان في الشرق. ففي منتصف القرن الثالث كانت المسيحية في الغرب لا تعترف بقانونية الرسالة إلى العبرانيين ولا تعتمد سوى الثلاث الرسائل الجامعة المذكورة. ولقد بدأ تأثير القانون الإسكندري أولاً على كنيسة شمال أفريقيا اللاتينية، وأثرت شخصية القديس أثناسيوس الرسولي أثناء نفيه في تريف بفرنسا على قبول الرسالة إلى العبرانيين. ثم استطاع أمبروسيوس أسقف ميلانو وروفينوس المؤرخ الكنسي وجيروم الناسك والمؤرخ وأغسطينوس أسقف هيبو ــ من آباء الغرب ــ أن يكون لهم الأثر الفعال في قبول بقية الأسفار المختلف عليها في أواخر القرن الرابع. فلقد ضمنها جيروم في ترجمته اللاتينية المشهورة للكتاب المقدس المعروفة بـ"الفولجاتا" سنة ٣٨٢م، كما استطاع أغسطينوس أن يقنع مجامع هيبو (٣٩٣م) وقرطاجنة (٣٩٧-٤١٩م) على قبول هذه الرسائل في القانون اللاتيني للعهد الجديد.

٥ ــ القانون السوري للعهد الجديد:

من أقدم الترجمات التي ظهرت لأسفار العهد الجديد هي الترجمة السريانية للأناجيل الأربعة، التي قام بها **تاتيان** أحد آباء الكنيسة السورية سنة ١٧٠م، إذ أنه صاغ من الأربع البشائر كتاباً واحداً سماه "الدياتيسارون Diatessaron"، أي الرباعي.

ومع أن الكنيسة هناك سعت جاهدة إلى استعمال الأناجيل الأربعة المنفصلة، إلا أنه ظل هذا الكتاب ما يقرب من قرنين من الزمان حتى

سنة ٤٣٠م هو الكتاب المفضل للقراءات الكنسية في الإنجيل لدى الناطقين بالسريانية.

ومن الواضح تاريخياً أن الكنيسة السورية كانت متخلِّفة عن الكنائس الأخرى الناطقة باليونانية واللاتينية في معرفتها بأسفار العهد الجديد. فحتى منتصف القرن الرابع لم يقبل **أفراهات** أحد آباء الكنيسة هناك سوى كتاب الدياتيسارون ورسائل بولس الرسول الأربعة عشر وسفر أعمال الرسل. وفي أواخر القرن الرابع ذكر القديس **أفرآم** ــ أحد الشخصيات الشهيرة في الكنيسة السورية ــ نفس أسفار العهد الجديد السابقة وأضاف عليها رسالة جديدة لبولس الرسول سماها الرسالة الثالثة لكورنثوس. إلا أن القديس أفرآم بيَّن معرفته بأسفار أخرى معتمدة لدى كنائس أخرى ذكر من ضمنها الأناجيل الأربعة.

وعلى أي حال، فإنه يُستدل من **قائمة الأسفار القانونية المعترف بها لدى الكنيسة السورية التي يرجع تاريخها إلى سنة ٤٠٠م**، أنهم كانوا يعترفون بالأناجيل الأربعة وسفر الأعمال ورسائل بولس الرسول الأربع عشرة، وتنتهي تلك القائمة بهذه الكلمات: «وهذا هو الكل». ويتضح من ذلك أن الدياتيسارون والرسالة الثالثة إلى كورنثوس قد أخذا حينذاك في الاختفاء.

وعندما صار **رابولا** أسقفاً على إديسا سنة ٤١١-٤٣٥م، قام بعمل ترجمة جديدة للعهد الجديد السوري سماها "**بيشيتا**"، وهي التي أصبحت الترجمة المعتمدة منذ ذلك الوقت فصاعداً في جميع البلدان

السورية. وقد عُثر عليها في كثير من المخطوطات التي يرجع تاريخها إلى القرنين الخامس والسادس وتتضمن: الأناجيل الأربعة وسفر الأعمال وثلاثة رسائل جامعة ليعقوب وبطرس ويوحنا، ورسائل بولس الرسول الأربع عشرة.

وفي سنة ٥٠٨م أُجري تعديل آخر على القانون السوري للعهد الجديد بواسطة أحد الأساقفة السوريين ويدعى **فيلوكسينوس** أسقف منبج على نهر الفرات الذي قام بمعاونة مساعده بوليكاربوس بترجمة الكتاب المقدس بعهديه عن اليونانية، فتضمنت ترجمته الرسائل السبع الجامعة وسفر الرؤيا مع بقية الأسفار الأخرى المعتمدة في قانوننا الحالي.

قرارات المجامع والاستقرار على رأي نهائي:

على الرغم من أن الاستقرار على رأي نهائي بالنسبة لحدود القانون المعتمد لأسفار العهد الجديد قد استغرق زماناً طويلاً، إلا أن لدينا من الأدلة الكافية ما يثبت أنه **لم ينقضِ القرن الثاني الميلادي حتى كانت جميع الكتب المعتمدة حالياً معروفة عالمياً**، فيما عدا سبعة كتب: خمسة منها من المجموعة المعروفة بالرسائل الجامعة (أو الكاثوليكون) وهي رسالة بطرس الثانية ويوحنا الثانية والثالثة ويعقوب ويهوذا ــ والرسالة إلى العبرانيين التي كانت تنقص في القانون اللاتيني ــ وسفر الرؤيا الذي كان ينقص في القانون السوري.

وحتى ذلك التاريخ لم تكن قد قامت بعد سلطة عامة لتثبيت قانون الكتب المقدسة المسيحية، إذ أنها لم تكن قد نالت بعد من الدراسة

الدقيقة ما فيه الكفاية للحكم الصائب عليها. ولكننا نستطيع أن نلمس بوضوح يد الله التي كانت ترشد جماعة المسيحيين في كل مكان في حكمهم على هذه الأسفار.

وهكذا ظل خيط من عدم الإجماع يكتنف قانون العهد الجديد. فبينما كان وضعٍ الأناجيل ورسائل بولس والرسالتين الجامعتين الكبيرتين مستقراً منذ القرن الثاني، ظلت قانونية باقي الأسفار تنتظر حكم الكنيسة الجامعة. **وقد صدر هذا القرار بكثير من الرزانة، وترتب على ذلك أن قبولها صار أكثر ثبوتاً من أي لائحة أخرى نهائية. فقد نتج عن الدراسات الرصينة التي قامت بها مدرسة الإسكندرية اللاهوتية ومدرسة أنطاكية السريانية وترجمة جيروم في الغرب أن قامت المجامع المتعاقبة بوضع القانون النهائي لأسفار العهد الجديد مثلما كانت قد استقرت عليه كنيسة الإسكندرية أيام القديس أثناسيوس الرسولي، وأشهرها مجمع هيبو سنة ٣٩٣م ومجمع قرطاجنة الأول سنة ٣٩٧م والثاني سنة ٤١٩م.**

الأسفار غير القانونية:

وكما حدث في الإسكندرية في القرون الثلاثة الأخيرة قبل المسيح، أن أُلحِقت بعض كتب الأبوكريفا إلى كتاب العهد القديم المترجم لليونانية، ثم وجدت طريقها في النهاية إلى المخطوطات، فقد حدث ما يشبه ذلك أيضاً بالنسبة لأسفار العهد الجديد. فإنه أثناء فترة تكوين قانون العهد الجديد، كانت هناك بعض الكتب: مثل الراعي لهرماس، ورسائل كليمندس الروماني، ورسالة برنابا وغيرها، قد أخذت لوقت

ما وضع الملحق أو الحاشية الإضافية بالنسبة للكتب المعترف بها. فالمخطوطة الوحيدة المتبقية من القرن الرابع والتي تحتوي على أسفار العهد الجديد كاملة، تشمل أيضاً رسالة برنابا وكتاب الراعي لهرماس. كما أن المخطوطة الكبرى الإسكندرية الموجودة حالياً في المتحف البريطاني بلندن، والتي يرجع تاريخها إلى القرن الخامس(*) تحتوي على رسالتين للقديس كليمندس الروماني.

وجدير بالذكر أن هذه الكتابات المتخلفة من العصور المسيحية الأولى كانت تُقرأ في بعض الكنائس، ويُرجع إليها بكثير من التوقير والتقدير، إلا أنها لم توضع قط في مرتبة واحدة مع الكتابات التي تسلمناها باعتبارها ذات سلطان رسولي.

إلا أنه يجب التفريق أيضاً بين كتابات العصر الرسولي التي كانت تُعتبر كملحق للعهد الجديد وبين مجموعة أخرى كبيرة من الكتابات المزيفة المختلفة عنها تماماً، والتي كان منها ما هو مؤلَّف على غرار الأناجيل أو سفر الأعمال أو الرسائل أو الرؤى. وقد وجد قليل من هذه المؤلفات شيئاً من الرواج في بعض الكنائس لوقت ما، مثل إنجيل العبرانيين، وأعمال بولس الرسول، وكتاب الوعظ، ورؤيا بطرس الرسول. وقد اكتُشفت قصاصات من إنجيل بطرس والرؤيا التي تُنسب إليه في مدينة أخميم بصعيد مصر سنة ١٨٨٦م. وكانت القطع التي تبقت من الإنجيل هي حوادث آلام المسيح، وقد بدا فيها تحريف

(*) انظر الصورة في ملزمة الصور.

غريب عن التناسق الموجود في الأناجيل القانونية، مما يتفق مع أفكار وميول جماعات الهراطقة.

كما يبدو أن "أعمال بولس وسيلا" كانت رواية مؤلفة في القرن الثاني على أسطورة سابقة لها. أما "إنجيل نيقوديموس" الذي ذكر حادثة نزول الرب يسوع إلى الجحيم، فقد تُرجم إلى لغات الغرب، وأثَّر كثيراً على فكر العصور الوسطى، وكذلك الرسالة إلى اللاودكيين التي ورد ذكرها في رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي، فقد وجدت طريقها إلى الفولجاتا اللاتينية وبعض نسخ الكتاب المقدس الإنجليزية.

وعلى أي حال فإن كثيراً من كتب أبوكريفا العهد الجديد بقيت وعاشت، ولكن كنيسة واحدة لم تقبلها ضمن قانون أسفارها المقدسة على الرغم من تعدد المذاهب ووصول عدد ترجمات الكتاب المقدس إلى أكثر من ألف لغة. إلا أن بقاء هذه الكتب عاد بالنفع على الكنيسة لكي تكشف بالمقارنة مع الكتب الأصيلة عن الحقيقة الروحية والتاريخية لتلك الكتب التي تبرهنت على مدى الأجيال أنها ثمرة حقيقية لوحي الروح القدس الذي ألهم الآباء الرسل لكتابتها.



البَابُ الثَّالِثُ

كيف وصلت إلينا النصوص الأصلية للكتاب المقدس



الفَصْلُ الأَوَّلُ

كيف وصلت إلينا أسفار العهد القديم

العثور على أقدم مخطوطات:

قبل عام ١٩٤٧م، وعلى الرغم من كثرة المخطوطات التي وُجدت للكتب المقدسة العبرية لأسفار العهد القديم القانونية، فإنه لم يمكن العثور على مخطوطة واحدة تحمل النص الأصلي للسفر مدوناً بيد كاتبه، لاستغراق هذه النصوص في القِدَم، فسفر ملاخي الذي هو آخر أسفار العهد القديم يرجع تاريخ كتابته إلى ما لا يقل عن ٤٠٠ سنة قبل الميلاد.

وحتى ربيع سنة ١٩٤٧م، لم يكن لدى العالم من مخطوطات للعهد القديم باللغة العبرية ما هو أقدم من سنة ٩١٦م. ولكن بعد اكتشاف مخطوطات وادي القمران في ربيع سنة ١٩٤٧م صار لدينا مخطوطات بهذه اللغة يرجع تاريخها إلى حوالي القرن الثاني قبل الميلاد، أي عشرة قرون قبل أقدم مخطوطة كانت لدينا سابقاً(١).

(١) ارجع إلى باب: "مخطوطات وادي القمران وقصة العثور عليها"، صفحة ١٢٣.

النص الأصلي للعهد القديم:

١ ـ اللغة التي كُتب بها:

كل أسفار العهد القديم كُتبت أصلاً باللغة العبرانية، فيما عدا بعض أجزاء صغيرة من سِفرَيْ عزرا ودانيال وآية واحدة من سفر إرميا (١١:١٠). ومع ذلك فلم يرد أي ذكر للغة العبرانية في أي من هذه الأسفار، وإنما سميت هذه اللغة بأسماء أخرى. فقد دعيت اللغة اليهودية أو الكنعانية كما جاء في النصوص الآتية:

+ «... كلِّم عبيدك بالأرامي لأننا نفهمه ولا تكلمنا **باليهودي** في مسامع الشعب الذين على السور.» (٢مل ١٨:٢٦)

+ «... ولم يكونوا يحسنون التكلم **باللسان اليهودي** بل بلسان شعب وشعب.» (نح ١٣:٢٤)

+ «في ذلك اليوم يكون في أرض مصر خمس مدن تتكلم **بلغة كنعان** وتحلف لرب الجنود، يُقال لإحداها مدينة الشمس.» (إش ١٩:١٨)

ولما جاء ذكر اللغة العبرانية في العهد الجديد، كان المقصود بها اللغة الوطنية السائدة حينذاك في فلسطين وهي اللغة الأرامية وليس العبرانية التي كُتب بها العهد القديم:

+ «فلما سمعوا أنه ينادي لهم **باللغة العبرانية** أعطوا سكوتاً أحرى.» (أع ٢٢:٢)

أما يوسيفوس المؤرخ اليهودي، فإنه استعمل هذا الاسم "اليهودي" مشيراً إلى اللغة التي كُتب بها العهد القديم، والتي أطلق عليها مؤلفو الترجوم اسم "**اللسان المقدس**."

واللغة العبرانية هي إحدى اللغات السامية التي كانت سائدة في غرب آسيا أي في المنطقة من البحر الأبيض المتوسط غرباً حتى ما بين النهرين شرقاً، ومن جبال أرمينيا شمالاً حتى الخليج العربي جنوباً. وهي تتفق مع بقية اللغات التي من نفس عائلتها ــ أي الأرامية والعربية والإثيوبية ــ وذلك في قواعد النحو وتركيب الكلام.

وقد اعترى اللغة العبرانية كثيرٌ من التغييرات على مدى العصور، كما يتضح ذلك من أسلوب المخطوطات التي بواسطتها أمكن تحديد تاريخ تطور اللغة. وعلى العموم كانت الفترة بين موسى وداود هي العصر الذهبي للغة العبرانية. ثم أخذت في التدهور من بعد زمن داود الملك حتى مُلك حزقيا أو منسَّى، وذلك بسبب دخول كلمات غريبة إليها من جرَّاء مخالطة اليهود والإسرائيليين للأشوريين والبابليين في أمور السياسة والتجارة. ثم بين مُلْك حزقيا وسبي بابل تكدر صفاء تلك اللغة تماماً، حيث دخلتها كلمات غريبة كثيرة. أما في مدة السبي ومقدارها سبعون سنة، فقد طرأ عليها تغيرات أكبر حجماً، وذلك بسبب اضطرار اليهود لاستخدام لغات البلاد التي نُقلوا إليها. فعند رجوعهم من السبي كان العبرانيون يتكلمون بلغة الكلدانيين تقريباً، ما عدا بعض كلمات عبرانية قليلة. لذلك اقتضى الأمر عند قراءة الأسفار المقدسة، القيام بالترجمة من العبرية إلى الكلدانية حتى يفهم الشعب ما

كان يُتلى عليه. وهذا ما فعله عزرا الكاتب لما أحضر سفر شريعة موسى قدام الشعب، إذ أمر اللاويين أن يفسروا الشريعة للشعب: «وقرأوا في السفر في شريعة الله ببيان وفسروا المعنى وأفهموهم القراءة.» (نح ٨:٨)

وظلت هذه الحال حتى بعد رجوع اليهود من السبي لمدة طويلة، فلم يكن الشعب يتخاطب باللغة العبرانية مطلقاً، غير أن طبقة الكهنة واللاويين استمروا يدرسونها ويتكلمون بها باعتبارها لغة مقدسة وأيضاً حتى يستطيعوا أن يفسِّروا كتب الناموس والأنبياء للشعب. ولكن يُظن أن اللغة العبرية كانت حية نوعاً ما في زمن المكابيين كلغة كتابة على الأقل، فقد وُجدت بعض مسكوكات أثرية من عصر المكابيين عليها كتابات بالعبرانية.

أما اللغة التي استقرت أخيراً بين اليهود والتي ظلت لغة الشعب حتى زمان مجيء المسيح، فكانت هي اللغة التي سادت في أقاليم سوريا وما بين النهرين وبابل وبلاد الكلدان وسُميت بالأرامية.

ولكن بالرغم من تقلص اللغة العبرانية إلى هذا الحد، فقد ظل علماء اليهود يدرسونها باهتمام بالغ، وأقاموا من أجلها مدارس رسمية لتعليمها للمختصين، وكان أشهر هذه المدارس مدرستي هاليل وشماي، وذلك في أيام المسيح. أما بعد خراب أورشليم فقد أنشئت مدارس لنفس الغرض في أماكن مختلفة، وكان من أشهرها مدرسة طبرية التي بقيت مزدهرة حتى زمان الحاخام يهوذا الملقب بالبار سنة ٢٣٠م،

الذي جمع "الميشنا"(٢)، وكان من بين تلاميذه جماعة ناشطة أقاموا عدة مدارس في بابل فاقت في نجاحها مدارس فلسطين، وقد بقيت نامية حتى القرن العاشر بعد المسيح.

ويبلغ عدد حروف اللغة العبرانية اثنين وعشرين حرفاً. وكانت تكتب أصلاً بالحروف السومرية، ثم صارت تكتب فيما بعد بحروف مربعة الشكل مثل الحروف الكلدانية. وقد ورد في تاريخ يوسابيوس وتآليف جيروم أن عزرا الكاتب بعد رجوع اليهود من السبي هو الذي غيَّر هيئة الحروف العبرانية القديمة وجعلها على هيئتها المربعة، وذلك لمنفعة اليهود الذين وُلدوا أثناء السبي في أرض بابل الذين اعتادوا على قراءة حروف اللغة الكلدانية المربعة الشكل.

وأقدم المخطوطات العبرية التي وصلت إلى أيدينا حتى الآن، وهي مكتوبة بالحروف المربعة، وإنما بدون حركات أو تشكيل، أي مكتوبة بحروف ساكنة فقط. أما الحركات فقد أُدخلت على الكتابة بعد المسيح بنحو خمسمائة سنة وذلك بقصد ضبط النطق الصحيح للفظ، كما أُدخلت "**الطعاميم**" أيضاً وهي العلامات التي تربط بين العبارات والجُمَل.

ويُعزى تأليف وجمع كتب الترجوم(٣) والتلمود(٤) والماسورا(٥) وإضافة الحركات والطعاميم في اللغة العبرانية، إلى مدرستي طبرية وبابل معاً.

---

(٢) الميشنا: هي تفاسير الكتاب المقدس اليهودي لجماعة "المعلمين."
(٣) الترجوم: هو تفاسير المترجمين من العبرية إلى الأرامية بعد العودة من بابل.
(٤) التلمود: هو مجموع الميشنا والجيمارا، والأخيرة هي تعاليم فئة أخرى تدعى القرائين.
(٥) الماسورا: هي تقاليد الشيوخ.

٢ ـ مصير النصوص الأصلية:

الذي نعرفه عن أسفار التوراة أنها كانت حتى قبل بناء هيكل سليمان، محفوظة بجوار تابوت العهد كما هو مكتوب في (تثنية ٣١: ٢٤-٢٦). أما بعد بناء الهيكل فقد وُضعت في الخزانة المخصصة للأسفار مع بقية الكتب المقدسة التي كُتبت بعد التوراة.

ولما هُدم الهيكل بيد نبوخذنصر ملك بابل، أخذ معه إلى بابل كل الأشياء الثمينة وأواني المذبح التي من نحاس ومن فضة ومن ذهب، ويُظن أنه أخذ معه أيضاً المخطوطات التي بها النصوص الأصلية للأسفار المقدسة التي وجدها في الخزانة، أو ربما نسخاً منها. لأنه من الواضح ـ على أي حال ـ أنه كان في بابل نسخ من الناموس، إذ أن دانيال النبي ـ الذي تنبأ في السبي ـ أشار إلى شريعة موسى بطريقة تدل على أنه اطلع عليها: «وكل إسرائيل قد تعدى على شريعتك... فسكبتَ علينا اللعنة والحلف **المكتوب في شريعة موسى**...» (دانيال ٩: ١١-١٣)، كما أنه ذَكَر النبوَّات التي تنبأ بها الأنبياء: «وما سمعنا صوت الرب إلهنا لنسلك **في شرائعه التي جعلها أمامنا عن يد عبيده الأنبياء**» (دانيال ٩: ١٠)، كما يقول أيضاً: «أنا دانيال **فهمتُ من الكتب** عدد السنين التي كانت عنها كلمة الرب إلى إرميا النبي لكمال سبعين سنة على خراب أورشليم.» (دانيال ٩: ٢)

كما يتضح أيضاً من سفر عزرا أن اليهود بعد عودتهم من السبي وإعادتهم لبناء الهيكل في السنة السادسة من حكم داريوس، «أقاموا... خدمة الله التي في أورشليم **كما هو مكتوب في سفر**

موسى» (عزرا ٦:١٨). وما يدل دلالة قاطعة على أنه كان لديهم نسخ من الأسفار المقدسة ـ قبل السبي وبعده ـ هو أنهم طلبوا من عزرا الكاتب «**أن يأتي بسفر شريعة موسى التي أمر بها الرب إسرائيل**» ليقرأها عليهم (نحميا ٨)، مبينين بذلك درايتهم بها كشعب وليس فقط كقادة، أي كهنة ولاويين.

وهناك أيضاً من الأدلة ما يثبت وجود نسخ أخرى للتوراة عند أهل السامرة، كانت معروفة في القرون الأولى للمسيحية باسم توراة السامريين، وهي بخلاف النسخ المعروفة عند اليهود. وقد ذكرها يوسابيوس المؤرخ الكنسي والقديس كيرلس الإسكندري والعلاّمة أوريجانس وجيروم وغيرهم من آباء وكُتّاب الكنيسة الأولين. وتوراة السامريين تشمل أسفار موسى الخمسة فقط، كما كانت تختلف عن توراة اليهود في بعض المواضع، إلا أن كثيراً من هذه الاختلافات كانت تقتصر على النواحي الإملائية أو النحوية ـ أو إدخال بعض الشرح أو التصحيح، كما أن بعض الإضافات كانت بقصد تحوير المعنى لملاءمة اعتقادات السامريين. ولكنها على أي حال تقدم لنا نصاً قديماً ذا قيمة عالية جدًّا للتوراة العبرية إنما مكتوباً بالحروف السامرية. ويُقال أنها أُخذت عن نسخة أتى بها «واحد من الكهنة» (الإسرائيليين) الذين سباهم ملك أشور «أسرحدون» سنة ٦٧٨ ق.م وأرسله ليعلِّم أجداد السامريين «كيف يتَّقون الرب» (٢مل ١٧:٢٨). على أنه هناك رأي آخر يقول إنها أُخذت عن نسخة جاءت مع كاهن مزيف اسمه مَنسَّى كان حفيداً «لألياشيب رئيس الكهنة»، قد

طرده نحميا لأنه صاهر سنبلط الحوروني الأممي سنة ٤٣٢ ق.م (نحميا ١٣:٢٨).

٣ ــ أقدم المخطوطات التي وجدت:

يمكن تقسيم المخطوطات المقدسة العبرية القديمة إلى فئتين:

أ ــ دروج كُتبت للاستعمال في المجامع.

ب ــ كتب للاستعمال الخاص.

وكانت دروج المجامع تحتوي إما على الناموس أو الأنبياء أو الكتابات المقدسة. وهي مكتوبة بالحروف المربعة بدون نقط أو تشكيل. وكان يُراعَي في إعدادها ومراجعتها العناية الفائقة. فاكتشاف أربعة أخطاء فقط في العمود الواحد كان كفيلاً بأن يجعل الدَرْج كله مرفوضاً. وكانت أنواع الجلود، وطول الأعمدة، وتركيب الحبر، بل وحتى ملابس الكاتب أثناء الكتابة، ذات شروط صارمة.

أما الكتب الخاصة فكانت تُكتب بالحركات والتشكيل، وكانت هوامشها تُملأ بالماسورا (أي التقاليد) وتفسير النصوص: وكانت الحروف التي يبدأ بها الكلام تُزيَّن بالذهب والألوان، ثم استُعمِلت في بعض المخطوطات التي كُتبت على الورق الحروف الربية ــ أي حروف الرقعة.

وأقدم المخطوطات العبرية التي وُجدت حتى الآن هي مخطوطات وادي القُمران بفلسطين، التي وجدت في ربيع سنة ١٩٤٧م. ويرجع تاريخها إلى القرنين الأول والثاني قبل الميلاد، ومخطوطات وادي

المربعات التي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني بعد الميلاد. في حين أنه قبل هذا الاكتشاف كانت أقدم المخطوطات لا ترجع إلى أسبق من القرن العاشر الميلادي. وجملة مخطوطات وادي القمران مع مخطوطات وادي المربعات تكاد تشمل كل أسفار العهد القديم!!

وقد قام لفيف من العلماء بفحص هذه المخطوطات ومقارنتها ببعضها البعض فوجدوا أن أغلب الاختلافات بينها ناتج عن النقل من نسخة لأخرى. كما يتبين من جملة هذه المخطوطات أن النساخة كانت تخضع لتقليد واحد لا يتغير قط، مِن صُنع الكتبة ــ أو «السيفوريم» بالعبرانية ــ الذين أقامهم عزرا «الكاتب الأكبر» في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد ليكونوا حَفَظة على التراث الديني اليهودي، والذين كانوا يراجعون النصوص بغيرة شديدة وحماس بارع حتى أنه في نهاية القرن الأول الميلادي استطاع يوسيفوس أن يتفاخر قائلاً: «**بالرغم من انقضاء زمن طويل على كتابة الأسفار المقدسة إلا أنه لم يجرؤ أحد على إضافة أو حذف أو تغيير أي شيء فيها.**»(٦)

٤ ــ النص الماسوري:

وبعد سقوط المدينة المقدسة سنة ٧٠م، تابع التلموديون، أي مؤلفو التلمود، تابعوا عمل السيفوريم، واستمروا في ذلك منذ القرن الأول حتى الخامس الميلادي. وقد أثَّر فقدان اليهود لهيكلهم وطقوسهم الدينية

(٦) *Contra Apion* i.8

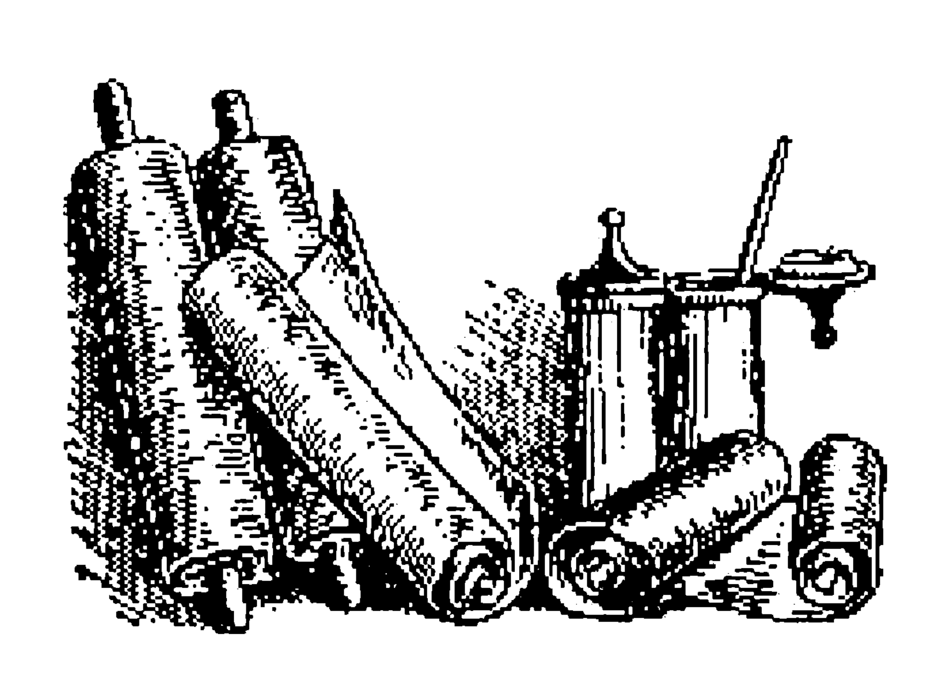
والقومية تأثيراً بالغاً على الأتقياء منهم، جعلهم يركزون اهتمامهم وتقديسهم على الأسفار المقدسة، الكنز الوحيد الذي تبقى لهم. وفي تلك الفترة تكونت الميشنا والجيمارا في طبرية وفي بابل، وعلى الرغم من أن هذا العمل الأدبي الكبير كان يختص أساساً بتقديم وتفسير أسفار العهد القديم، إلا أنه كان بحد ذاته أعظم وسيلة مُحكَمة للمحافظة على النص التقليدي، لأنه قدَّم أسلم طريقة لنقله وتسليمه.

وقد أعقب التلموديين جماعة الماسوريتيين، الذين حملوا عبء هذه الرسالة منذ القرن السادس حتى القرن الحادي عشر، هؤلاء الذين يعني اسمهم أنهم "أساتذة التقليد"، وهم الذين ورثوا مهمة طبع النص العبري في صفحات، وتمموا العمل بترقيم الكلمات والحروف، وإضافة علامات الشكل التي تساعد على النطق الصحيح، ونبرات الحركات التي تبين التتابع المنطقي والتوقيع الموسيقي للكلام. وكذلك قاموا بتوضيح الكلمات التي تحتمل معنيين، فذكروا القراءة أو النطق المقبول للكلام حينما يكون مختلفاً عن النص المكتوب.

وقد كوَّنت أعمال الماسوريتيين كتاب «الماسورا» الكبير، وكتاب «الماسورا» الصغير الذي يشمل ملاحظاتهم على الكلمات الغامضة فقط، والذي يمثل حالياً الملاحظات التي تُكتب في أسفل صفحات النص العبري في أغلب الكتب المقدسة المطبوعة.

وهكذا قبل نهاية القرن الحادي عشر كان التقليد المتعلق بنصوص العهد القديم قد تثبَّت تماماً، وصار الاستقرار على النص المعتمد لأسفار العهد القديم أمراً مفروغاً منه.

وقد أكد الاكتشاف الأخير لمخطوطات وادي القمران هذه النتيجة، إذ أن المخطوطات التي وُجدت تمثل مجموعة متعددة الأنواع من حيث النص. فبعضها مطابق للنص الماسوري، بينما البعض الآخر شديد الشبه بالنص العبري التي أخذت عنه الترجمة السبعينية، كما توجد نصوص أخرى أكثر قرباً للنص السامري، وغيرها خليط من أنواع مختلفة. إلا أنه لوحظ وجود اتجاه سائد نحو تحديد نوع معين من النصوص، فالمخطوطات التي وُجدت في وادي المربعات والتي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني بعد الميلاد وُجدت كلها مطابقة للنص الماسوري. وهذا يشير إلى أن التطور وصل مداه في ذلك الزمان.



الفَصْلُ الثَّانِي

أشهر ترجمات العهد القديم

١ ـ الترجوم: Targum

يمكن القول مع التأكيد أن أقدم ترجمات العهد القديم التي وصلت إلى أيدينا على الإطلاق حتى الآن، هي تلك الأجزاء من أسفار عزرا ودانيال المكتوبة في الأصل العبري باللغة الأرامية. والمعروف أن الضرورة هي التي دعت إلى ترجمة أسفار العهد القديم للغة الأرامية، وذلك بعد أن أصبحت هذه اللغة هي لسان الشعب اليهودي بعد السبي، حيث تقلصت اللغة العبرية التي كُتب بها الناموس لتكون لغة الكتب المقدسة وحسب. وكنتيجة حتمية لذلك أَمْسَت الحاجة ماسة في المجامع والمدارس إلى مترجم أو مفسر حينما تُقرأ الكتب المقدسة على الشعب. ويظهر ذلك بوضوح مما جاء ذكره في سفر نحميا ٨:٨ حيث يقول: «وقرأوا في سفر شريعة الله ببيان **وفسروا المعنى وأفهموهم القراءة**».

وكانت وظيفة "الترجمان" ـ كما يُعرف بهذا الاسم في الشرق ـ هي الترجمة الشفوية بتصرف أثناء قراءة الأسفار. وإلى زمن معين كان ممنوعاً أن تُكتب ترجمته أو تفسيراته، ولكن بمرور الوقت أصبحت هذه الوظيفة من الأهمية حتى احتاج الأمر إلى وضع نظام خاص لها،

فكان يتحتم على المترجم أن تكون ترجمته لأسفار الناموس آية فآية، أما أسفار الأنبياء فتكون فصلاً فصلاً. ثم أعقب ذلك جمع هذه التراجم في كتب سميت بالترجومات، ولا شك أنها كانت ثمرة مجهود طويل للعديد من المترجمين.

وجميع الترجومات التي بقيت حتى عصرنا هي من أصل فلسطيني. ومن أقدمها وأفضلها ترجوم «أونكيلوس Onkelos» لأسفار موسى الخمسة، وهو مكتوب باللغة الأرامية الصرفة، وتكاد تكون ترجمته مطابقة للأصل العبري. لذلك يمكن اعتبار هذا الترجوم ترجمة أمينة نوعاً ما. ويبدو أنه أعيدت صياغته بعد ذلك في بابل فظهرت نسخة جديدة له، وتسمى بالنسخة البابلية.

وهناك أيضاً ترجوم للأنبياء كتبه يوناثان بن عزئيل، وكذلك ترجوم للكتابات المقدسة الأخرى "الهاجيوجرافا". وكل هذه التآليف بقيت على حالها كما هي بوضعها الراهن.

٢ ـ الترجمات اليونانية

أ ـ الترجمة السبعينية : LXX

مع أن الترجمات اليونانية للعهد القديم يرجع تاريخها إلى العصر المسيحي، وذلك بسبب استعمالها في الكنيسة المسيحية، إلا أن المحاولات الأولى كانت لخدمة اليهود الذين في الشتات الذين كانت لغتهم هي اليونانية.

وكما كان الحال بالنسبة للإقبال على الترجومات الأرامية، فمن المحتمل أيضاً أن الضرورة ذاتها اضطرت المتكلمين باليونانية أن يطلبوا ترجمة يونانية لأسفارهم المقدسة، حتى يفهموا ما كان يُتلى عليهم من القراءات في المجامع، والتي بدأت طبعاً بواسطة مترجم يوالي الترجمة آية فآية أو فصلاً فصلاً كما بدأت الترجومات.

ومن المعروف أن اللغة اليونانية صارت اللغة الرسمية السائدة في شتى أنحاء حكم الإسكندر الأكبر الذي أخضع كافة الشعوب لسلطانه. على أن أول من أحس بالحاجة إلى ترجمة يونانية للأسفار العبرية هم يهود الإسكندرية المستوطنون، وذلك في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد. وقد انحدرت إلينا قصة أول ترجمة معتمدة لجميع أسفار العهد القديم من وثيقة قديمة يرجع تاريخها إلى سنة ١١٠ ق.م تدعى رسالة «أريستياس» Aristeas. تقول هذه الوثيقة إنه بناءً على طلب الحاكم بطليموس فيلادلفيوس (٢٨٥ ــ ٢٤٧ ق.م)، أرسل رئيس كهنة اليهود بفلسطين إلى الإسكندرية نسخة من الناموس مع اثنين وسبعين شيخاً من المترجمين المختارين: ستة من كل سبط من إسرائيل، حيث قام هؤلاء الشيوخ بهذه المهمة الضخمة خلال أيام طويلة. ويمكننا أن نستنتج من هذه القصة: أن يهود الإسكندرية كان لديهم بعض ترجمات معينة للناموس ولكنها لم تُعتبر وافية بالغرض؛ وأنه قد اجتمع بالإسكندرية "لجنة للمراجعة"، قامت بمجهود متضامن لإخراج ترجمة أكثر استيفاءً؛ وأن محاولات جادة قد عُمِلت لجعل هذه الترجمة مقبولة عموماً.

وقد جاءت تسمية هذه الترجمة **بالسبعينية** من قصة الاثنين والسبعين شيخاً. وتحدث عنها كل من فيلو ويوسيفوس ـ المؤرخَيْن اليهوديين من القرن الأول الميلادي ـ بكلمات التقريظ والتعظيم، فأحاطوا الترجمة بهالة من الإعجاز والسرية. فقد قال فيلو عنها إن مؤلفيها لم يكونوا مجرد مترجمين بل يمكن أن يدعَوْا بحق أنبياء. وقد أخذت الكنيسة بهذه السمات النبوية بالنسبة للترجمة السبعينية.

ولكن ـ بالرغم من ذلك ـ فقد قام الحاخامات اليهود يلعنون ذلك اليوم الذي تُرجِمت فيه الأسفار إلى اليونانية بمقتضى مشورة بطليموس، معتبرين ذلك مصيبة حلَّت على مستقبل إسرائيل، وذلك بسبب تسرُّب الشريعة التي كانت معتبرة من أخص أسرار شعب إسرائيل إلى خارج المجتمع الإسرائيلي. وباحتضان الكنيسة المسيحية لها انتقل ذلك الميراث نهائياً من حوزة إسرائيل.

وقد استقبلت الكنيسة هذه الترجمة السبعينية، كما توارثها اليهود المؤمنون بالمسيح عن أجدادهم، بكل وقار واحترام. وقد قيل أن عدد الشيوخ الذين اضطلعوا بالترجمة سبعين شيخاً، وأنهم كانوا يعملون منفردين بأمر بطليموس. ولعل ذلك خشية من أن يحرِّفوا في الأصل. وفي نهاية عملهم وُجدت ترجماتهم متطابقة من كل جهة. فكان ذلك برهاناً على صدق الترجمة من جهة وإلهام الله لهم من جهة أخرى. وقد أتموا ترجمة جميع أسفار العهد القديم دفعة واحدة.

وفي أبحاث متأخرة يظن بعض العلماء أن الترجمة تمت بواسطة مترجمين متفاوتين في مهارتهم، وأنهم أكملوا العمل على فترات

استغرقت زماناً طويلاً خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. وأن أول وأفضل ما عُمل هو الأسفار الخمسة.

ولكن بالرغم مما قدمه العلماء من انتقاد، فلا توجد ترجمة أخرى حازت مثل هذه الثقة العامة أو أثَّـرت مثل هذا التأثير الكبير على العالم كله، إذ بواسطتها أمكن انتشار معرفة الله العظيم في كافة أنحاء العالم مع ثقافات وآداب ومعاملات الله التي جاءت في جميع الأسفار. والمعروف أن هذه الترجمة هي التي اعتمدها جميع الإنجيليين الأربعة وكافة الرسل والبطاركة الأولين. وقد نظر إليها غالبية آباء المسيحية باعتبارها عملاً ملهماً، فصارت الأساس لكل الترجمات المسيحية الأولى تقريباً، وما زالت هي النص المعترف به للعهد القديم في الكنيسة الأرثوذكسية حتى الآن.

ولكن لم يكتفِ علماء اليهود ولا علماء المسيحيين بترجمة النسخة السبعينية وحدها، فقد قامت محاولات كبيرة للتصحيح والتدقيق، فنشأت عن ذلك بعض نسخ وترجمات جديدة. ومن أبرز الذين اشتغلوا في تصحيح ومقابلة النسخة السبعينية وبعض الترجمات الأخرى على الأصول العبرانية العلاَّمة المسيحي أوريجانوس، وجيروم من بعده. وقد انحدرت إلينا أجزاء قليلة من الثلاث الترجمات المشهورة التي تكشف عن هذه المجهودات الجبارة التي بُذِلَت للحصول على أدق ترجمة للعهد القديم:

ب ـ ترجمة أكويلا Aquila
وترجمة ثيودوتيون Thiodotion
وترجمة سيماخوس Symmacaus:

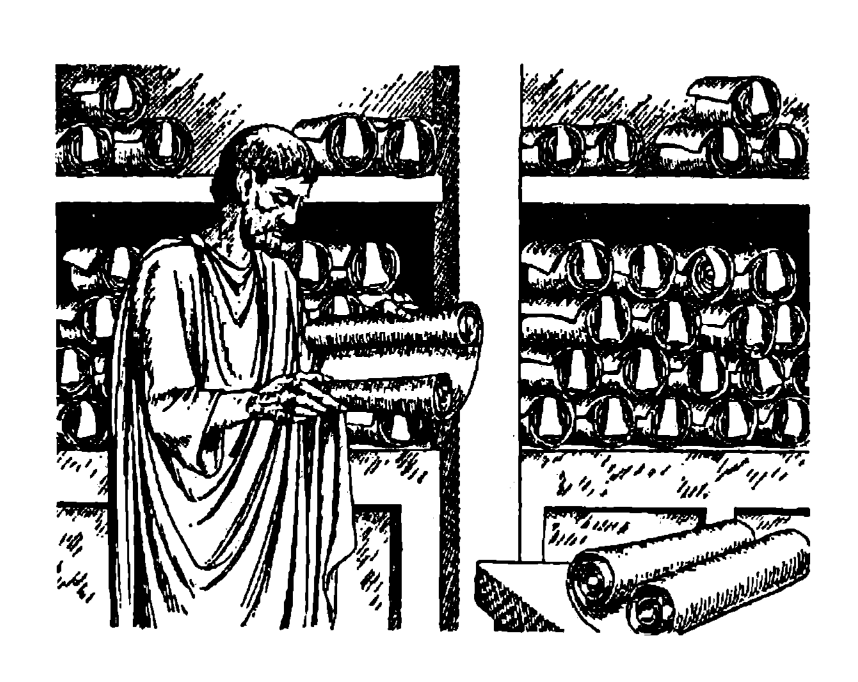
هذه ترجمات يونانية أخرى للعهد القديم جاءت بعد الترجمة السبعينية، وهي التي قارنها أوريجانوس بالترجمة السبعينية والنص العبري مع ترجمة يونانية حرفية للنص العبري، وذلك في كتابه الشهير "الهكسابلا" Hexapla. فقد وضع الست ترجمات في ستة أعمدة متوازية، معلقاً عليها بملاحظاته، ولا شك أن عملاً كبيراً مثل هذا كان من المتعذر أن تُعمل منه نسخ "كاملة". لذلك فبعد أن ضاع الأصل لم يتبقَّ من هذه الترجمة سوى أجزاء صغيرة وُجدت في نسخ أخرى. وهكذا فليس لدينا من هذه الترجمات الثلاث إلا ما تبقى منها في بقايا كتاب الهكسابلا.

وقد أُنجزت ترجمة أكويلا في حوالي منتصف القرن الثاني الميلادي بواسطة مهتدي يهودي من بنطس اسمه أكويلا. وهي تتميز بوجود نسبة كبيرة من التعبيرات الحرفية التي تُضعف من قيمة الاصطلاحات اللغوية اليونانية.

أما ثيودوتيون الذي من أفسس فقد اتخذ طريقاً وسطاً بين الأسلوب الشبيه بالترجوم المتبع في الترجمة السبعينية والركاكة التي في ترجمة أكويلا. وقد ظلت ترجمته لسفر دانيال مستخدمة في الكنيسة، وما زالت موجودة في جميع المخطوطات المعروفة للكتاب المقدس اليوناني فيما عدا مخطوطة واحدة.

أما سيماخوس، الذي يبدو أنه كان يهودياً آمن بالمسيح من بدعة الإبيونيين، فقد عاش في القرن الثالث وترجم بأكثر تصرف من ثيودوتيون، وهكذا قارب أسلوبه طريقة الشرح والتفسير.

وعلى أي حال، فإن الأجزاء المتبقية من هذه الترجمات الثلاث تُعتبَر ذات قيمة كبيرة في خدمة الدراسة المقارنة للكتاب المقدس. وقد جُمِعَت وقورنت بالنص العبري والترجمة السبعينية، وأفادت في توضيح بعض النصوص الغامضة.



الفَصْلُ الثَّالِثُ

كيف وصلت إلينا أسفار العهد الجديد

١ ــ اللغة التي كتب بها كُـتَّاب العهد الجديد:

كانت فلسطين في أيام الرب يسوع واقعة في مفترق الطرق بين دول الإمبراطورية الرومانية، لذلك كانت ملتقى جميع الأجناس. ولكن مِن بين مختلف الألسنة واللغات، نجد ثلاث لغات أكثر شيوعاً وانتشاراً، وهي التي كتب بها بيلاطس البنطي العنوان الذي وضعه على الصليب: «يسوع الناصري ملك اليهود»، إذ يقول الكتاب إنه «كان مكتوباً بالعبرانية واليونانية واللاتينية.» (يو ١٩: ٢٠)

وكانت **العبرانية** هي لغة فلسطين، إلا أنها لم تكن العبرانية التي كُتبت بها أسفار العهد القديم، وإنما كانت اللغة الأرامية التي صارت لسان الشعب بعد عودته من السبي ــ كما أوضحنا في الفصل السابق.

ويبدو أن التعصب القومي ليهود فلسطين أبى عليهم أن يعترفوا بانقراض لغتهم الأصلية وانحصارها في إطار الاستعمال الديني لأسفارهم المقدسة فقط، فأطلقوا على اللغة الأرامية التي كانوا يتكلمون بها حينذاك اسم "اللغة العبرانية".

أما **اللاتينية** فكانت هي اللغة الرسمية للإمبراطورية، أي أنها كانت لغة الحكام والمكاتبات الرسمية. ولم يكن يعرف منها يهود فلسطين إلا تلك الكلمات الدارجة الاستعمال في المعاملات العامة مع المستعمرين مثل "السنتوريون centurion" أي قائد المئة، و"الكولوني colony" أي المستعمرة أو القلعة... إلخ.

أما اللغة الثالثة وهي **اليونانية،** فكانت أكثر اللغات انتشاراً في فلسطين وبالأخص في «جليل الأمم»، حيث كان أغلب سكانها اليهود يتقنون اللغتين الأرامية واليونانية كضرورة اقتصادية لازمة لمعاملاتهم التجارية.

ويرجع انتشار اللغة اليونانية في فلسطين إلى القرن الرابع قبل المسيح، حينما تعرَّض الشرق كله لتأثيرات المدنية اليونانية بعد استيلاء الإسكندر الأكبر عليه (٣٢٣ ق.م). ومنذ ذلك الحين بدأ المستعمرون السلوقيون ــ خلفاء الإسكندر ــ ينفذون خطتهم في "هَلْيَنَة" الشعب اليهودي، أي طبعه بطابع الثقافة اليونانية. وعلى الرغم من أن الحركة المكابية قد عطلت من تنفيذ هذه الخطة بعض الشيء، إلا أن اللغة اليونانية وثقافتها أخذت تجتاح فلسطين، كوضع تحتمه مصلحة الشعب ومكاسبه التجارية بحكم موقعه الجغرافي، حتى بعد سقوط الإمبراطورية اليونانية وقيام الإمبراطورية الرومانية مكانها. وكان هذا هو الحال في كل الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط، حتى اقتضى الأمر ترجمة العهد القديم إلى اليونانية لمنفعة يهود الشتات في الإسكندرية وفي كل دول الإمبراطورية.

ويُعتبر انتشار اللغة اليونانية بهذه الصورة الشاملة، وترجمة الكتب المقدسة العبرية إليها، والترابط الإقليمي لدول الأرض كلها بواسطة قيام الإمبراطورية الرومانية، هو التمهيد الذي دبرته العناية الإلهية من أجل حلول ملء الزمان الذي فيه يأتي "المسيا" مخلِّص العالم. من أجل ذلك كان من الطبيعي أن تُكتب أسفار العهد الجديد باللغة اليونانية، لأنها كانت موجهة إلى كل شعوب الأرض.

فالعهد الجديد، إذن، هو كتاب يوناني أي مكتوب باللغة اليونانية. ومع ذلك فلا يجب أن يُفهم أن اليونانية التي كتب بها الرسل هي نفسها التي كتب بها الكتَّاب الكلاسيكيون الإغريق القدامى، أمثال هوميروس وسقراط وأفلاطون وأرسطو. لكنها كانت تختلف عنها اختلافاً كبيراً، كما أنها تختلف أيضاً عن لغة المؤلفين اليونانيين المعاصرين للرسل. فلغة العهد الجديد في الواقع هي حصيلة مختلف لهجات اللغة اليونانية القديمة. فقد كان لكل ولاية لهجة خاصة بها، وكانت اللهجة الدارجة التي يتكلم بها عامة الشعب هي "لهجة أثينا" عاصمة الإمبراطورية، التي كانت تمثل مزيجاً من لهجات مختلف ولايات اليونان، مع تداخل كبير لكثير من المصطلحات الفارسية والسريانية والعبرية وغيرها، المستعارة من البلاد الخاضعة للإمبراطورية. فكانت الحصيلة لغة تُعرف باسم "اللهجة الشائعة Koine". وهذه اللهجة هي التي صارت بمرور الزمن الأساس الذي بُنى عليه أدب اللغة اليونانية للكتابة والتأليف بين الأجانب في الإمبراطورية اليونانية.

ولما استعمل مترجمو العهد القديم تلك "اللهجة الشائعة" كواسطة

لنقل الفكر الديني اليهودي إلى اليونانية، اضطروا إلى صبغها بتعبيرات مشتقة من اللغة العبرية، وباستعارات وأمثلة مأخوذة من حياة الشعب العبراني، ذات طابع ديني غريب كل الغرابة عن تصورات العقلية اليونانية؛ حتى أنه في بعض المواضع من العهد القديم المترجم لليونانية، لم يكن الناتج ترجمة بالمعنى المفهوم وإنما نقلاً للكلمات العبرية باللغة اليونانية (Transliteration).

أما أسفار العهد الجديد، فلكونها كُتبت أصلاً باللغة اليونانية، كان من الطبيعي أن تحتوي على النذر اليسير من التعبيرات الدخيلة وخاصة في الأسفار التي كُتبت بواسطة كُتَّاب يُتقنون اللغة اليونانية، مثل القديس لوقا الإنجيلي وبولس الرسول.

بل وأكثر من ذلك، فإننا نجد في كتاباتهم نسبة كبيرة من الكلمات والتعبيرات اليونانية الحديثة، وكثيراً من المعاني الجديدة المستنبطة لكلمات يونانية دارجة الاستعمال حسب مقتضى حاجة التعليم الجديد الذي أزاح الستار عن أسرار مكتومة منذ أوائل الدهور، لم يسبق الكلام عنها من قبل أو إخضاعها تحت ألفاظ أو تعبيرات معروفة!!

من أجل هذا كله، يمكن اعتبار يونانية الكتاب المقدس لغة قائمة بذاتها بصورة ما، وبالأخص يونانية العهد الجديد التي تتميز بقواعد خاصة للنحو وتحتاج إلى قاموس خاص من أجل دراسة متقنة لها. **وينبغي على كل راغب لدراسة الكتاب المقدس دراسة أصيلة واعية، أن يكون على دراية بالتاريخ الطويل الذي مرَّت به اللغة**

اليونانية من عصر أفلاطون حتى عصر القديس بولس الرسول، وبالعلاقة بين الفكر العبراني والاصطلاحات التي استُخدمت لنقله بواسطة مترجمي العهد القديم إلى اليونانية، وأخيراً بإلهام الحياة الجديدة الذي صبغ اللغة اليونانية الهيللينية بروح المسيحية الجديدة وعقيدتها.

٢ ــ مصير النصوص الأصلية:

من المعروف أن النصوص الأصلية للعهد الجديد دُوِّنَت بيد كاتبيها على ورق البردي الرقيق المستعمل حينذاك في كتابة الرسائل والكتابات المتداولة، وأنها كانت موجهة عند كتابتها إلى كنائس مُعيَّنة. لذلك كان من المحتم أن تُرسل إلى الجهة التي كُتبت لها ولا تحفظ في مكان خاص معلوم. أما أسفار العهد القديم فقد حُفظت في أقدس مكان في الهيكل. فمن البديهي إذن أن لا نتوقع بقاء هذه الأصول تماماً منذ القرون الأولى للمسيحية بسبب طبيعة الورق الذي كُتبت عليه والطريقة التي اتُّبعت لتداولها. ومن البديهي أيضاً أن نحصل على صور عديدة منها مطابقة للأصل بسبب شغف المؤمنين على اقتنائها وبغرض تداولها بين سائر الكنائس.

ويستنتج البعض من قول العلامة ترتليان (من القرن الثالث) أن النصوص الأصلية للعهد الجديد كانت ما زالت محفوظة حتى أيامه. ولكن إذا علمنا أن كاتبي العهد الجديد كانوا يُملون كلامهم على من يكتب لهم (رو ١٦:٢٢)، ولم يكونوا يكتبون بأيديهم عادة، فإنه تتساوى لدينا النسخ الأصلية مع الصور المنقولة، طالما أمكننا أن نحصل

على أدق نص مطابق للنص الأصلي، بالمقارنة بين النسخ المنقولة التي لا يحصى عددها والتي وصلت إلينا.

والواقع أن وسيلة حصولنا على النص الأصلي لأسفار العهد الجديد تختلف اختلافاً كبيراً عما حدث بالنسبة لأسفار العهد القديم، ذلك لأن نصوص العهد الجديد تستند في إثباتها على الشهادة الموحدة لثلاثة مصادر لتحقيق المستندات التي وُجدت وهي:

أولاً: أقدم المخطوطات باللغة اليونانية التي كُتب بها النص أصلاً.
ثانياً: أقدم الترجمات.
ثالثاً: الاقتباسات الآبائية من النص الأصلي.

وهذه الاقتباسات جاءت في مقالات كتبها آباء الكنيسة الأوائل منذ العصر الرسولي حتى القرن الخامس، أي قبل عصر الانشقاق، بعد أن استقرت الكنيسة تماماً في كل العالم على الأسفار القانونية للعهد الجديد.

أولاً ـ المخطوطات

حاول الإمبراطور دقلديانوس في اضطهاده المجنون للمسيحية سنة ٣٠٣م، أن يبيد جميع الكتب المقدسة المسيحية، مقتدياً في ذلك بأنطيوخوس إبيفانس الذي أراد قبله ببضعة قرون أن يبيد الكتب المقدسة اليهودية. ولكن عدداً كافياً من النسخ لكل أسفار الكتاب المقدس القانونية عاش ليوصِّل لنا النص كاملاً.

وفي سنة ٣٣٠م أسند الإمبراطور قسطنطين إلى الأسقف يوسابيوس

القيصري مهمة إعداد خمسين نسخة كبيرة تامة الإتقان لجميع أسفار الكتاب المقدس لاستخدامها في كنائس القسطنطينية. ولا يُستبعد أن كثيرين من أثرياء البلاد قد اقتدوا بالإمبراطور. وقد تبقى لنا من هذه النسخ ذات الخط المميز للقرنين الرابع والخامس الميلادي، أربع نسخ كبرى للكتاب المقدس كله تعرف بالنسخ:

١. الإسكندرية، ويُرمز لها بالحرف A،

٢. والفاتيكانية، ويُرمز لها بالحرف B،

٣. والسينائية، ويُرمز لها بالحرف S،

٤. والإفرايمية ويُرمز لها بالحرف C.

(انظر لها صوراً في ملزمة الصور).

ومن منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن الخامس عشر يوجد لدينا مجموعة مسلسلة تاريخياً من المخطوطات اليونانية لأسفار العهد الجديد، يزيد عددها على ٢٠٠٠ مخطوطة، منها أكثر من مائة نسخة مكتوبة بالحروف الكبيرة، ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع حتى العاشر، والبقية مكتوبة بالحروف الصغيرة المتصلة، بالخط العادي الدارج، ويبدأ تاريخها في الغالب من القرن التاسع. ولكن ليس جميعها تشتمل على العهد الجديد بأكمله سوى الأربع النسخ التي ذُكرت آنفاً وهي المكتوبة بالحروف الكبيرة، وثلاثين نسخة من المكتوبة بالحروف المتصلة بالخط العادي. أما النسخ المعتادة فتحتوي إما على الأناجيل الأربعة أو على سفر أعمال الرسل والرسائل الجامعة أو على رسائل

بولس الرسول أو على سفر الرؤيا وحده.

وتوجد مجموعة أخرى من المخطوطات التي تشتمل على قراءات الكنيسة الشرقية، وهي تتكون من فصول من الأناجيل أو أعمال الرسل والرسائل.

وقد وُجدت نسبة كبيرة من هذه المخطوطات مشوَّهة وممزقة، ووُجد بعضها مكتوباً فوق الكتابة الأصلية التي كانت فيه مما جعل من المتعذر قراءتها، وهي المخطوطات المعروفة باسم Palimpsests. ولكن على الرغم من كلٍ هذه الصعوبات، **فقد أعطتنا هذه المخطوطات في مجموعها نصاً وافياً للغاية لأسفار العهد الجديد، نظراً لكثرة عددها وقِدم عهدها أكثر من أي مستند آخر أمكن الحصول عليه لأي كتاب يوناني آخر قديم.**

ثانياً ــ الترجمات

لا تقل الترجمات القديمة الأخرى، في أهميتها، عن المخطوطات المكتوبة باللغة اليونانية التي كُتب بها النص الأصلي، لأنها تُقدِّم لنا شهادة على صحَّة النص الأصلي أقدم من أي مخطوطة يونانية وُجدت حتى الآن. فالترجمات السريانية والقبطية واللاتينية القديمة يرجع تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي، وتعود بنا إلى أيام الآباء الرسوليين الذين جاءوا بعد الرسل مباشرة، وهي تشهد على هِمَّة واجتهاد المترجمين المسيحيين في القرن الذي أعقب العصر الرسولي.

(أ) **الترجمات السريانية**: وأهمها:

البيشيتا Peshitta، الكوريتونية Curetonian، الفيلوكسينية Philoxenian.

وتُعتبر أقدم ترجمات الكتاب المقدس هي ترجمته إلى السريانية. فمن المعتقد أن مسيحيي إديسّا فيما بين النهرين قد ترجموا في السنين الأولى من القرن الثاني الميلادي كتب العهد القديم من العبرانية، وكذلك كتب العهد الجديد من اليونانية، ليس بعد هذا الزمن بكثير.

وتُعرَف أقدم ترجمة سريانية للكتاب المقدس باسم "الكوريتونية". ولكن لم يتبقَّ منها سوى البشائر. وقد تُرجمت نسخة غير متكاملة منها في دير القديسة "مريم ديبارا Deipara"[(١)] بوادي النطرون بصحراء مصر الغربية، وطبعها الدكتور كوريتون سنة ١٨٥٨م. ومنه جاءت تسمية الترجمة بالكوريتونية. ثم اكتُشِفَت نسخة أخرى في سيناء سنة ١٨٩٢ تحتوي على كل البشائر تقريباً.

أما أشهر الترجمات السريانية القديمة فهي المعروفة باسم "البيشيتا" ومعناها "البسيط" أو "الحرفي". وتتميز البيشيتا بأن أسفار العهد القديم مترجمة عن العبرانية. لذلك فهي لا تشمل أسفار الأبوكريفا اليونانية، كما أن أسفار العهد الجديد المترجمة عن اليونانية تنقصها أربع رسائل من الرسائل الجامعة وسفر الرؤيا. ويُظن أن هذه الترجمة قد تمَّت في أوائل القرن الرابع ولا يُعرف على وجه التحديد الذين قاموا بعملها.

---

(١) مريم ديبارا Deipara: كلمة لاتينية الأصل من شقين: Dei = الله، para = مع؛ أي أنها تعني القديسة مريم «مع الله».

وفي أوائل القرن السادس عهد القديس فيلوكسينوس أسقف منبج بشرق سوريا إلى صديقه الخوريبسكوبوس بوليكاربوس بعمل ترجمة جديدة للكتاب المقدس إلى السريانية. ولكن لم تصلنا منها إلا النسخة المنقحة التي أعدها توما الهرقلي خليفة القديس فيلوكسينوس سنة ٦١٦م، ولذلك سميت بالترجمة السريانية الهرقلية نسبة إليه. وقد بنيت هذه الترجمة على البيشيتا حيث أعادت صياغتها بأسلوب جديد فيه مزيد من الالتزام بالنص اليوناني، كما أنها شملت أسفار العهد الجديد بكاملها.

(ب) **الترجمات المصرية**: وأهمها:

البحيرية (أو الممفيسية) ـ الصعيدية (أو الطيبية) ـ الفيومية (أو البشمورية). اللغة المصرية القديمة هي اللغة القبطية، وهي التي كانت تتكلم بها مصر الفرعونية، وكانت تُكتب بالحروف الهيروغليفية أو الهيراطيقية أو الديموطيقية. وقد توقف استعمال هذه اللغة تماماً في مصر منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي وأصبحت اللغة العربية لغة الشعب الدارجة. ولكن ما زالت الصلوات والقراءات الكتابية في خدمة القداس الإلهي تُتلى بإحدى لهجات اللغة القبطية وهي اللهجة البحيرية.

وعند دخول المسيحية مصر حدث تطور كبير في كتابة اللغة القبطية، إذ استُبدِلَت الحروف الأبجدية لهذه اللغة بأربعة وعشرين حرفاً من الأبجدية اليونانية مضافاً إليها ستة حروف أخرى مصرية الأصل،

كما تسرَّبَت إليها كثير من التعابير والكلمات اليونانية مثلما حدث في اللغة السريانية.

وتتميز اللغة القبطية بعدة لهجات مختلفة أهمها اللهجة البحيرية والصعيدية والفيومية. وقد تُرجِم الكتاب المقدس إلى كل لهجة من هذه اللهجات الثلاث ووُجدت مخطوطات تشمل أجزاء من الكتب المقدسة لكل واحدة من هذه اللهجات. وكانت الترجمة البحيرية منتشرة في مصر السفلى أي الوجه البحري، والترجمة الصعيدية في مصر العليا أي الصعيد، والترجمة الفيومية في مصر الوسطى. ولكن أهم هذه اللهجات هي اللهجة البحيرية التي سادت على باقي اللهجات خصوصاً بعد انتقال الكرسي البابوي من الإسكندرية إلى القاهرة خلال القرن الحادي عشر، فانتقلت معه اللهجة البحيرية فعمَّت مصر الوسطى والصعيد أيضاً.

ولكي نعرف أصل هذه الترجمات القبطية للكتاب المقدس ينبغي أن نتتبع تاريخ المسيحية في مصر منذ أن بَشَّرها القديس مرقس الرسول في منتصف القرن الأول الميلادي. فمن المعتقد عامة أن أول من آمن بالمسيح في مصر هم يهود الإسكندرية المتكلمون باليونانية، ثم ما لبثت المسيحية أن انتشرت بين مواطني البلاد بسرعة فائقة، حتى أنه في سنة ٦٢م ـ أو على الأكثر سنة ٦٨م ـ عند استشهاد مرقس الرسول كان في مصر كثير من المؤمنين.

ومن المعروف أن القديس مرقس الإنجيلي أنشأ مدرسة لاهوتية بالإسكندرية ولا بد أن أهم موادها كانت أسفار الكتاب المقدس.

ومما لا شك فيه أن اللغة اليونانية ــ لغة الأسفار المقدسة ــ كانت هي اللغة المستعملة بواسطة المبشرين والمعلمين والأساقفة والمستخدمة أيضاً في الخدمات الليتورجية في الكنيسة.

ولكن المسيحية بعد استشهاد مرقس الرسول بمدة نصف قرن من الزمان، ثبتت جذورها بقوة في أنحاء مصر، ولم ينتهِ القرن الثالث الميلادي حتى كانت المسيحية قد انتشرت في كل أنحاء مصر، وصار لكل مدينة أسقفها، وأضحت الرهبنة التي أسَّسها القديس أنطونيوس الكبير غرساً نامياً يبسط أطرافه في أرجاء البلاد. ومما لا شك فيه أن عامة الشعب لم يكونوا عارفين باليونانية، لذلك فمن المتوقع أن تكون أسفار الكتاب قد تُرجمت إلى لغتهم وهي القبطية، ويبرهن على ذلك بعض المخطوطات اليونانية القديمة التي وُجدت مشتملة على ترجمة قبطية للنص مقابلها. وهكذا يمكن أن نستنتج أن أول ترجمة قبطية للكتاب المقدس كانت في القرن الثاني الميلادي.

ومن قصة حياة أنبا أنطونيوس (٢٥١-٣٥٦م) نفهم أنه كان لا يعرف سوى القبطية لغة بلاده، وأنه تحرك في داخله نازعٌ لترك العالم بسبب سماعه فصل إنجيل الشاب الغني الذي قال له الرب يسوع: «اذهب وبع كل ما لك وأعطه للفقراء وتعال اتبعني» (مت ١٩:١٦). كما يشهد البابا أثناسيوس الرسولي عن القديس أنطونيوس أنه كان عارفاً بالكتب المقدسة، مما يدلنا على أن الكتب المقدسة كانت مترجمة في أيامه إلى اللغة القبطية. وجدير بالملاحظة أيضاً أنه في الكتابات التي وصلت إلينا

منسوبة للقديس أنطونيوس نلاحظ وجود كثير من الاقتباسات من كلا العهدين.

ويحمل التاريخ أدلة كثيرة على أن عدداً كبيراً من الأساقفة ورهبان ذلك العصر كانوا يحفظون الكتب المقدسة مع جهلهم باليونانية. وكانت اللغة الدارجة في أديرة مصر هي القبطية. ولم يتعلم القديس باخوميوس (٢٩٢ ـ ٣٤٨م) اليونانية إلا في سنٍ متأخرة[٢]. وفي قوانينه الديرية كان يحتم على الراهب دراسة الكتب المقدسة[٣].

من هذه الاعتبارات وغيرها نستطيع أن نحدد تاريخ الترجمة القبطية للكتاب المقدس في أواخر القرن الثاني الميلادي.

ومن الواضح أن الترجمة القبطية قد استندت على الترجمة السبعينية، فيما عدا سفر دانيال الذي نُقل من ترجمة ثيودوتيون. ويلاحظ أن كلاً من الترجمة البحيرية والصعيدية قد أخذتا عن نص يوناني يختلف عن الآخر، ولكن الترجمة البحيرية أدق وأنقى من الصعيدية، أما الترجمة الفيومية فقد بُنِيَت على الصعيدية.

وتُعتبر الترجمات القبطية ذات قيمة كبرى في الدراسة المقارنة للنصوص الكتابية، لأنها تمثّل مستخرجاً للنص اليوناني قبل أن تطرأ عليه التطورات التي نشأت كنتيجة لدراسة أوريجانوس التقابلية لنص الترجمة السبعينية في كتابه الشهير «الهكسابلا».

---

(٢) حسب تحقيق العلاّمة Rosweyde.

(٣) Migne, Patr. Lat. 23.

(ج) الترجمة اللاتينية:

بينما كانت سوريا ومصر تقرآن كلاًّ من العهدين القديم والجديد بلغتهما الوطنية، كانت روما لا تزال تقرأ الكتاب المقدس باليونانية، لأن الكنيسة الرومانية المبتدئة كانت في غالبيتها تتكلم اليونانية. أما أقدم ترجمة لاتينية للكتاب المقدس فقد تمت في مدينة قرطاجنة بشمال أفريقيا التي تُعتبر الأم الفعلية للمسيحية اللاتينية. وقد أمكن الحصول على أجزاء كبيرة من هذه الترجمة من كتابات ترتليان وكبريان وآخرين من كُتَّاب الكنيسة الأفريقية، ومن مخطوطات قديمة تحتوي على أجزاء من الكتاب المقدس باللاتينية.

في هذه الترجمة اللاتينية القديمة تُرجِم العهدان القديم والجديد من اليونانية. ويشمل العهد القديم كتب الأبوكريفا اليونانية، أما العهد الجديد فإنه يتبع القانون الغربي في القرن الثاني حيث أنه لم يكن يشمل الرسالة إلى العبرانيين ورسالة يهوذا ورسالة بطرس الثانية.

ومن أفريقيا انتشر الكتاب المقدس اللاتيني قبل القرن الرابع إلى أوروبا. وقد أطلق القديس أغسطينوس اسم "إيتالا" على أحسن صيغة للترجمة اللاتينية الأوروبية، إذ أنه كانت هناك ترجمات مختلفة فيها كثير من المفارقات، حتى أن عدد أشكال النص يساوي عدد النسخ الموجودة.

وأمام هذا الالتزام بضرورة إيجاد ترجمة موحَّدة، قام العلاَّمة جيروم المتوحِّد في مغارة ببيت لحم سنة ٣٨٣م، بتكليف من البابا داماسوس أسقف روما، بفحص دقيق للترجمة اللاتينية القديمة بغرض مراجعتها

وتنقيحها. وقد بدأ بتصحيح الـ"إيتالا" مستعيناً بالمخطوطات اليونانية، فراجع البشائر أولاً ثم الرسائل وإنما بدرجة أكثر سطحية، ثم أتبعهما بعمل مراجعتين لسفر المزامير، وقد صُحِّحَت المراجعة الثانية بالرجوع إلى الترجمة العبرانية في بعض أجزائها. ويبدو أن بقية العهد القديم قد عولجت بنفس الطريقة، ولكن نسبة بسيطة من هذا العمل هي التي بقيت حتى الآن. وعلى أية حال، فإن هذه الترجمة تتضاءل قيمتها أمام خطة أكثر جرأة بدأها جيروم أيضاً سنة ٣٩٠م لترجمة الكتاب المقدس من اللغة العبرية مباشرة. ولقد استغرقت منه هذه المهمة زهاء ١٤ سنة، بالرغم من أن بعض الأسفار تُرجمت بسرعة غير عادية.

ولقد مر وقت طويل لكي تحوز ترجمته اللاتينية الجديدة للكتاب المقدس التي سُمِّيَت "الفولجاتا" ـ ومعناها الشائعة أو الشعبية ـ قبولاً عاماً بين الأوساط الدينية. فبعد قرنين من الزمان، في أيام البابا الروماني غريغوريوس الكبير بدأ استعمال الفولجاتا وإنما في ضوء ترجمة أخرى مقابلة لها. كما أن بعض أجزاء الفولجاتا المستخدمة حالياً بها أجزاء من الترجمة اللاتينية القديمة. ولم تعتمد الكنيسة اللاتينية ترجمة الفولجاتا إلا في مجمع ترنت Trent سنة ١٥٤٦م، على أنه ما زال الإحساس قائماً بالحاجة إلى صدور ترجمة أخرى منقحة.

* * *

وتوجد ترجمات أخرى قديمة ذات أهمية خاصة وهي:

(د) الترجمة الغوطية: التي عملها ألفيلاس الكبادوكي الذي سباه الغوطيون (الألمان) مع أبويه في غزوة لهم لآسيا الصغرى، ولقد سيم أسقفاً عليهم سنة ٣٤١م على المذهب الأريوسي، وظل يرعاهم أربعين سنة. وترجم لهم الكتاب المقدس كله من اليونانية فيما عدا أسفار صموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني، التي رأى أنه من الحكمة منعها عن قوم متهيئين دائماً للحرب. ولقد انتشرت ترجمة ألفيلاس في أوروبا في زمن ما، ولكن بسبب أصلها الهرطوقي أُعدمت أغلب النسخ و لم ينجُ منها إلا أجزاء قليلة.

(هـ) الترجمة الأثيوبية: وترجع إلى القرن الرابع. وعلى الرغم مما جاء في سفر الأعمال من إيمان الوزير الأثيوبي، والتقليد الكنسي القديم الذي يشهد بأن أحد الرسل قد حمل البشارة إلى الحبشة، إلا أنه لا يمكن متابعة تاريخ الكنيسة الأثيوبية قبل القرن الرابع. فيقول روفينوس المؤرخ (٣٣٠-٤١٠م) بأن مؤسِّسَيْ كنيسة أثيوبيا كانا أخوين شابين من مدينة صور بفلسطين اسم أحدهما فرومنتيوس والآخر أديسيوس، ذهبا في رحلة مع أحد فلاسفة بلدهما لاكتشاف تلك البلاد. وبمجرد نزولهم إلى الساحل، قتل أهل البلاد كل أفراد الرحلة و لم يستبقوا سوى هذين الشابين اللذين قدموهما هدية للملك. أما هما فقد كافآ معتقليهم بتبشيرهم بإنجيل المسيح. ويحتمل أن الإنجيل الأثيوبي كان ثمرة بشارتهما، وبالأخص بعد أن أقام البابا أثناسيوس الرسولي بابا الإسكندرية برسامة فرومنتيوس أسقفاً على الحبشة لَمَّا علم منه بما حدث.

أما المخطوطات التي عُثر عليها للترجمة الأثيوبية للكتاب المقدس فهي حديثة، ويظهر من النص أنه مأخوذ عن اليونانية بوجه عام. أما العهد الجديد فهو مطابق للترجمات القبطية.

(و) **الترجمة الأرمنية**: ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس حينما وضع القديس ميزروب الأبجدية الأرمنية لأول مرة، بعد مرور حوالي قرن من الزمان على إيمان الأرمن بالمسيح على يد القديس غريغوريوس الأرمني، وكانوا يستعملون الترجمة السريانية للكتاب المقدس. وقد ألف القديس ميزروب الأبجدية الأرمنية من ٣٦ حرفاً، ثم قام بتكليف من البطريرك إسحق بترجمة الكتاب المقدس كله بعهديه إلى اللغة الأرمنية من النص السرياني، ثم قورن بعد ذلك بالنص اليوناني على يد تلاميذهم الذين تلقنوا اليونانية في كلٍّ من القسطنطينية والإسكندرية، وأحضروا نسخاً معتمدة للأسفار المقدسة معهما.

(ز) **الترجمة السلافية**: وهي من وضع كيرلس وميثوديوس اللذين بشرا الجنس السلافي، وكرزا بالإنجيل للسلافيين الساكنين حول نهر الدانوب حوالي سنة ٨٧٠م. وكما فعل ألفيلاس وميزروب، ألّفا هما أيضاً حروفاً أبجدية جديدة للذين آمنوا على أيديهما، وترجما أجزاء من الكتاب المقدس للغتهم الوطنية. ولما اهتدى الأمير فلاديمير سنة ٩٨٨م، نقل هذه الترجمة إلى روسيا حيث ظلت مستعملة حتى الآن في الكنيسة الروسية بعد أن روجعت أيام القيصر بطرس الكبير.

* * *

أما **الترجمة العربية**، فلا نسمع عن ترجمة عربية للكتاب المقدس قبل التي عملها يوحنا أسقف أشبيلية من أعمال أسبانيا سنة ٧٥٠م عن ترجمة جيروم اللاتينية التي شاعت في أسبانيا من القرن السابع فصاعداً. وفي القرن التاسع ترجم الحاخام سعديا جدعون المعلم الشهير بمدرسة بابل، العهد القديم من العبرانية لمنفعة اليهود الذين كانوا يتكلمون العربية.

ولكن لا يمكننا أن نتحقق الزمان الذي تُرجم فيه العهد الجديد إلى العربية ـ بخلاف ترجمة أسقف أشبيلية، ولعل الأناجيل الأربعة تُرجمت منذ القرن السابع، وبقية الأسفار في القرن الثامن أو التاسع. وكانت بعض الترجمات من اليونانية والأخرى من السريانية وغيرها من القبطية. (انظر في ملزمة الصور أقدم مخطوطة منذ حوالي ١١٠٠ سنة باللغة العربية للكتاب المقدس).

أمَّا الترجمة التي شاعت من عهد قريب، فهي من أوائل القرن السابع عشر، وقام بها مطران حلب "سركيس الرزي" بإذن من بابا روما، إذ شرع مع جملة من العلماء في جمع عدة نسخ عربية وقابلوها بالنص العبري واليوناني واللاتيني وبالأخص الفولجاتا.

أمَّا الترجمة الأكثر جدّة التي بين أيدينا فقد قام بها في مدينة بيروت المرسل الأمريكي عالي سميث سنة ١٨٤٨ بمساعدة المعلم بطرس البستاني اللبناني، وقد ترجما العهد القديم من العبرانية والعهد الجديد من اليونانية. أما أحدث ترجمة للعربية فقد أصدرتها دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط سنة ١٩٩٣ تتضمن الكتب اليونانية من

الترجمة السبعينية المسمّاة الأبوكريفا. وقد قام بهذه الترجمة لجنة مؤلفة من علماء ينتمون إلى مختلف الطوائف المسيحية.

ثالثاً ــ اقتباسات الآباء

إن النصوص التي اقتبسها آباء الكنيسة الأوائل من يونانيين وأقباط ولاتين من العهدين الجديد والقديم في الخمسة قرون الأولى للمسيحية، تُعدّ من الكثرة بحيث يمكن استخلاص كل نصوص الكتاب المقدس تقريباً من هذا المصدر وحده، حتى إذا فرضنا ضياع جميع المخطوطات القديمة التي تشتمل على الأسفار القانونية.

ومع ذلك فإن شهادة الآباء للنص الأصلي ينقصها أمران:

١ ــ أن اقتباساتهم جاءت متفرقة أو بغرض الشرح والتفسير.
٢ ــ أن كثيراً من كتاباتهم قد تعرضت للتنقيح بغير اكتراث في كثير من الأحيان.

ولكن على الرغم من ذلك، ومع وضعنا لهذه الأمور في الاعتبار، فإنه ما زالت شهادة الآباء تُقدِّم في كثير من الحالات رأياً حاسماً في قراءة مُتنازَع عليها لتُعطي فيها النص المقبول من الكنيسة الأولى.

وأهم الآباء الذين تصلح كتاباتهم في دراسة الكتاب المقدس وتحقيق نصوصه هم:

من القرن الأول: كليمندس الروماني.

من القرن الثاني: إغناطيوس ــ بوليكاربوس ــ بارنابا ــ هرماس صاحب كتاب "الراعي" ــ يوستين الشهيد ــ إيرينيئوس ــ تاتيان ــ ثيئوفيلوس الأنطاكي.

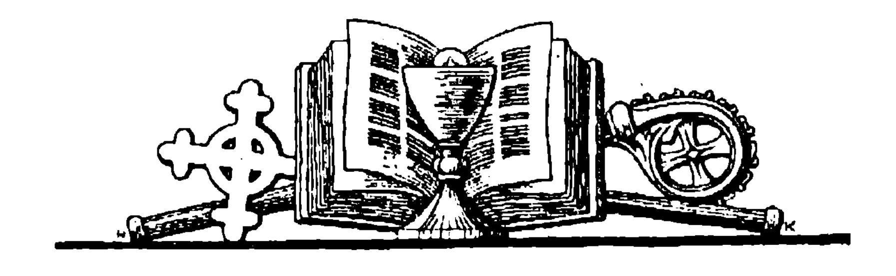
من القرن الثالث: ترتليان ــ كليمندس الإسكندري ــ أوريجانوس ــ هيبوليتوس ــ كبريانوس.

من القرن الرابع: يوسابيوس القيصري ــ كيرلس الأورشليمي ــ أثناسيوس الرسولي ــ باسيليوس ــ أفرآم السرياني ــ غريغوريوس النزيانزي ــ غريغوريوس النيسي ــ إيلاريون ــ لوسيفورس ــ أمبروسيوس ــ أمبروزياستر.

من القرن الخامس: يوحنا ذهبي الفم ــ ثيؤدور ــ ثيئودوريتوس ــ كيرلس الإسكندري ــ إيرونيموس (جيروم) ــ أغسطينوس.

ولكي نبين مقدار تقدير آباء الكنيسة لكلمة الله المدونة في أسفاره المقدسة، نورد قولاً للقديس يوستينوس الشهيد يقول فيه:

[**إن قلب المسيحية هو في رسالتها الكتابية عن عناية الله ومحبته للإنسان كما وُجدت في الكتب المقدسة وفي شخص يسوع المسيح.**](٤)

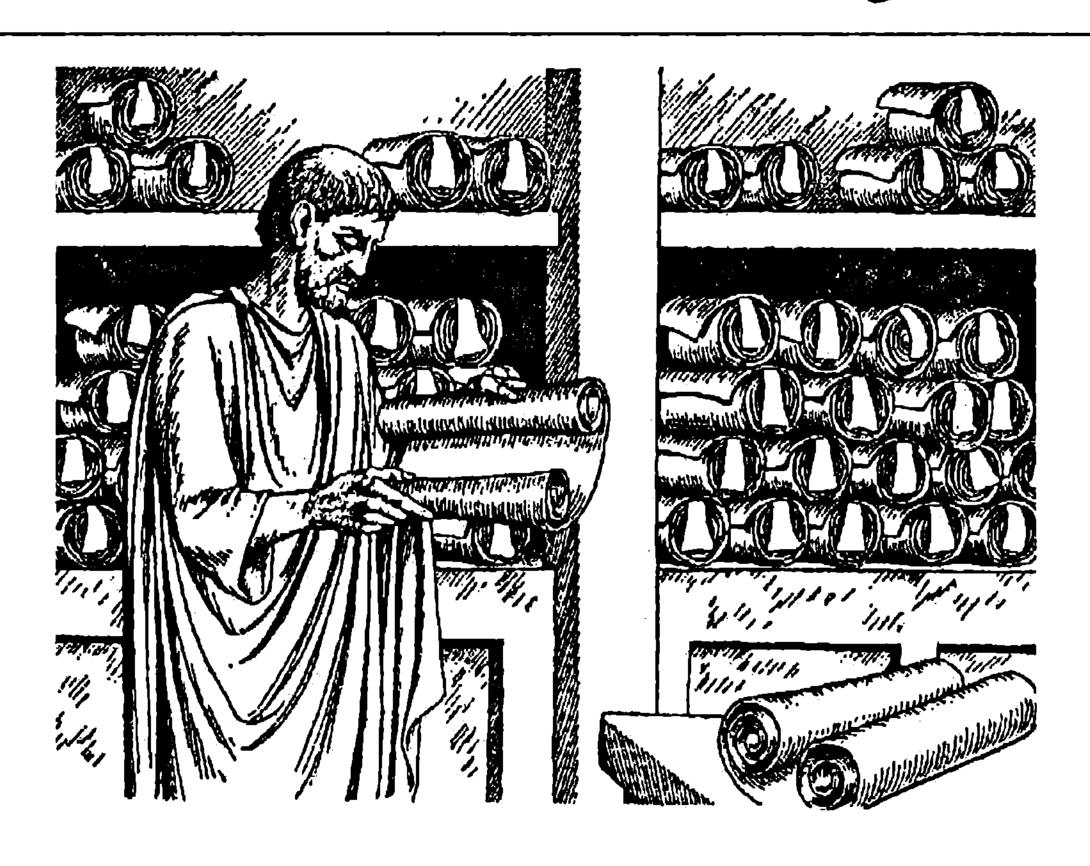


(٤) *Early Christian Fathers*, vol. 1: 232.

الباب الرابع

مخطوطات وادي القمران بفلسطين وقصة العثور عليها

أعظم دليل في العصر الحديث على صحة نصوص الكتاب المقدس



الفصل الأول

تاريخ اكتشاف المخطوطات

في شهر مارس سنة ١٩٤٧، وقع حادث عابر تسبب في اكتشاف مخطوطات أثرية لأسفار الكتاب المقدَّس يرجع تاريخها إلى حوالي ألفي سنة، كان لها أكبر الأثر في إعادة النظر في البحوث العلمية والدراسات النقدية للأسفار المقدسة اليهودية والمسيحية في مختلف أنحاء العالم. وقد تألف حولها كثير من الكتب بلغات متعددة. وظلت هذه الاكتشافات تشغل بال العالم المتمدين طوال السنين الماضية حتى وقتنا هذا، حيث استمر البحث في تلك المنطقة التي وُجد فيها الاكتشاف الأول عدة سنوات متتالية، وأسفر البحث عن وجود مئات من المخطوطات الهامة ذات القيمة الدينية والتاريخية والأدبية البالغة الأهمية.

ويكفي للتدليل على أهمية هذه المخطوطات أن أقدم مخطوطة لأي سفر من أسفار العهد القديم باللغة العبرية ــ قبل العثور على مخطوطات وادي القمران ــ كان يرجع تاريخها إلى سنة ٩١٦م. أما المخطوطات المكتشفة هنا، ففيها ما يرجع تاريخه إلى القرن الثاني ق.م. أي أن دراستنا التقابلية لنصوص أسفار العهد القديم قد أمكن الرجوع بها إلى الوراء أكثر من ألف سنة بواسطة هذا الكشف.

ولكن الأهم من هذا أن هذه الدراسات التقابلية لم تجد فروقاً تُذكر بين النصوص التي تم العثور عليها وبين النصوص التي بين أيدينا. مما يبين أن هذه الكشوف لم تُضِفْ جديداً على إيماننا، ولكنها أثبتت أن ما تسلمناه بالتقليد من أسفار مقدسة هو بعينه التراث العريق جداً في القِدَم الذي آمن به آباؤنا منذ آلاف السنين.

أما قصة العثور على هذه المخطوطات فكانت هكذا:

وقف أحد الرعاة البدو ـ من قبيلة التعامرة ببلاد فلسطين ـ يعدُّ غنماته في آخر النهار، فاكتشف أن إحدى عنزاته قد فُقدت، فترك القطيع مع أحد رفاقه، ومضى الفتى "محمد عبده الديب" ـ وهذا اسمه ـ يهيم على وجهه بين التلال وفي الأودية والجحور يبحث عن غنمته الضالة. وبينما هو في بحثه، دخل مغارة في التلال الواقعة على الساحل الغربي للبحر الميت على بعد ثمانية أميال ونصف من مدينة "أريحا"، فإذا به يجد هناك قدوراً فخارية يتراوح ارتفاعها بين ٦٥ و٧٥ سنتيمتراً وقطرها حوالي ٢٥ سنتيمتراً. ووجد في داخلها قطعاً من الجلد ملفوفة على شكل اسطواني (دروج) ومغطاة بأقمشة من الكتان. وإذ ظن هذا الفتى أنه وجد كنزاً ـ وهو كنز بالفعل وإنما من نوع آخر غير الذي يشتهيه ـ أخذه ومضى به إلى قرية بيت لحم، وهناك عرضه على أحد تجار الآثار مقابل عشرين جنيهاً ولكن ذلك التاجر رفض أن يدفع فيها هذا الثمن!

وبعد أيام سمع عن هذه المخطوطات رئيس دير القديس مرقس

لطائفة السريان الأرثوذكس بأورشليم المتروبوليت "مار أثناسيوس صموئيل"، فاستطاع أن يتحصَّل منها على خمسة دروج، بينما ابتاع الثلاثة الأُخر "أ. سوكينيك" أحد أساتذة الجامعة العبرية بأورشليم. وفي سنة ١٩٥٤ اشترى ابن سوكينيك "ي. يادين" الخمسة دروج الأخرى من رئيس الأساقفة بمبلغ ٢٥٠,٠٠٠ جنيه استرليني. وهكذا أصبحت جميع الدروج التي وجدها ذلك البدوي في حوزة المعهد الإسرائيلي.

وفي أوائل سنة ١٩٤٨ عُرِفت القيمة الأثرية العظيمة لهذه المخطوطات التي يرجع تاريخها إلى زمن سحيق جداً في القدم. ولكن قيام الحرب بين العرب وإسرائيل حالت دون إجراء أبحاث استكشافية أخرى على محتويات ذلك الكهف.

ومن ١٥ فبراير حتى ٥ مارس سنة ١٩٤٩ أمكن التنقيب من جديد بواسطة الأستاذ "لانكستر هاردنج" بدائرة الآثار الأردنية مع أحد رجال المدرسة الإنجيلية "الأب دي فو". فوجدوا مئات من أجزاء الكتاب المقدَّس، وكتب الأبوكريفا، وكتابات أخرى غير معروفة.

وقد دلَّت كمية القدور التي وُجدت على أن ذلك الكهف كان مستخدماً قديماً لإخفاء مكتبة كاملة تحتوي على ما يقرب من مائتي درج. ومن المحتمل أن تكون هذه المكتبة قد اكتُشِفَت قبل ذلك، فقد ذكر الأسقف يوسابيوس المؤرِّخ أن العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) كان يقرأ في ترجمة يونانية لسفر المزامير وُجِدَت في قدر بالقرب من

أريحا[1]. وفي سنة ٨٠٠م كتب البطريرك النسطوري تيموثاوس الأول في رسالة له، أن أحد الرعاة البدو وجد "داراً صغيرة للكتب" بجوار أريحا.

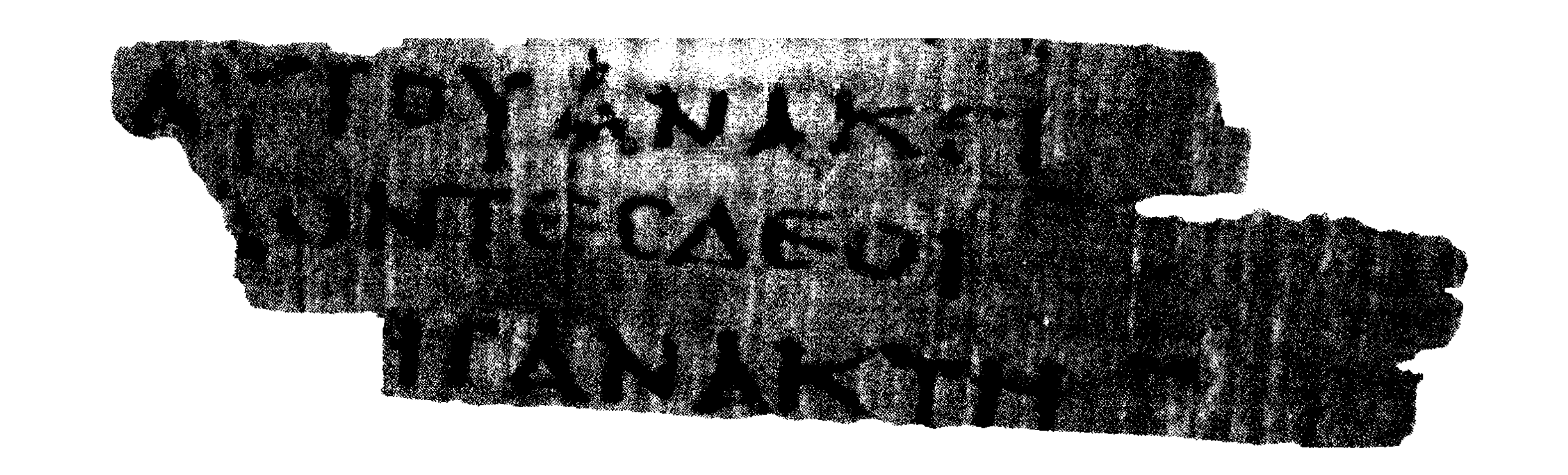
فحص المخطوطات:

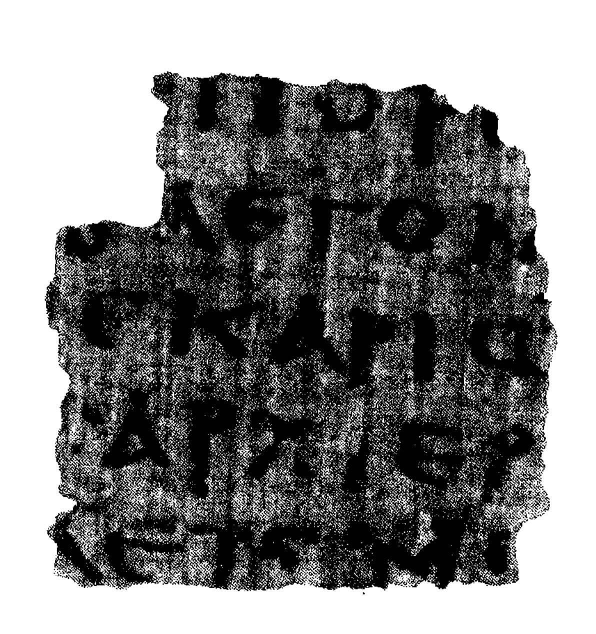
وبسبب حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ حمل المتروبوليت أثناسيوس الخمسة الدروج التي اشتراها وسافر بها إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وهناك دُرِسَت هذه المخطوطات، وصدر الكتاب الأول عنها سنة ١٩٥٠م شاملاً صوراً فوتوغرافية ونسخاً خطية لمحتويات اثنين من الدروج، أحدهما يضم سفر إشعيا بأكمله والثاني تفسيراً للأصحاحات الأُولى من سفر حبقوق. ثم صدر الكتاب الثاني سنة ١٩٥١م حاوياً ما يشتمل عليه دَرْجان آخران صغيران يكوِّنان ما يسمى "دليل السلوك" وهو مجموعة تعاليم وأحكام سلوكية لتنظيم حياة الجماعة التي كانت تسكن تلك المنطقة.

أما الدروج التي في حوزة الجامعة العبرية في أورشليم فقد أصدر سوكينيك كتابه الأول عنها في سبتمبر سنة ١٩٤٨، ثم أعقبه بالكتاب الثاني سنة ١٩٥٠، ولكنهما على أي حال لم يكشفا إلا عن بعض من أجزاء الدروج التي أمكن قراءتها بسهولة. ثم أكمل العمل بعد وفاة سوكينيك ابنه يادين، فأصدر كتابه سنة ١٩٥٤ تحت عنوان "كنز الدروج المخفية". وظهر أن أحد الدروج عبارة عن مخطوطة أخرى لسفر إشعياء، والدرج الثاني يصف الحرب التي ستقوم في نهاية

---

(١) تاريخ يوسابيوس ٦:١٦.





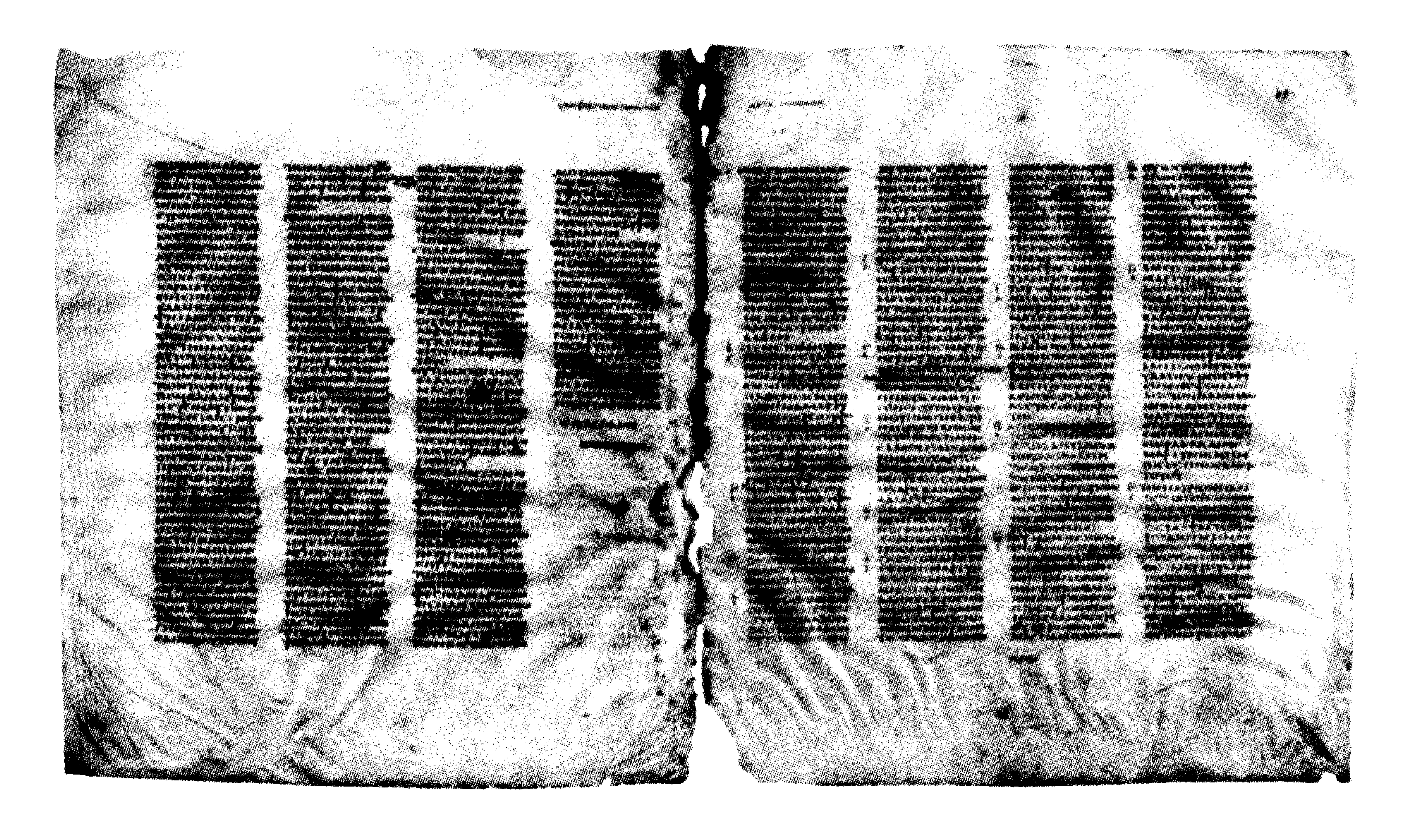


أحدث اكتشاف لأقدم قطعة مخطوطة تحوي آيات من إنجيل متى ترجع إلى القرن الأول بعد سنة ٦٠م

وقد جرى العثور عليها عام ١٩٠١ في إحدى الكنائس القديمة بالأقصر بمصر، وظلت بلا اهتمام بها حتى عام ١٩٩٤ حينما اهتم أحد العلماء الألمان المتخصص في البرديات المصرية بجامعة أكسفورد بدراستها وإجراء الفحوص المعملية عليها ووجد أنها ترجع إلى القرن الأول ووجد عليها آثار بعض حبيبات اللقاح لزهور كانت منتشرة في فلسطين في القرن الأول. وتمكن العالم الألماني من علاج بقايا هذه البردية التي وجدها ممزقة إلى ثلاثة أجزاء صغيرة ومكتوبة باللغة اليونانية القديمة.

النسخة الفاتيكانية **Codex Vaticanus**

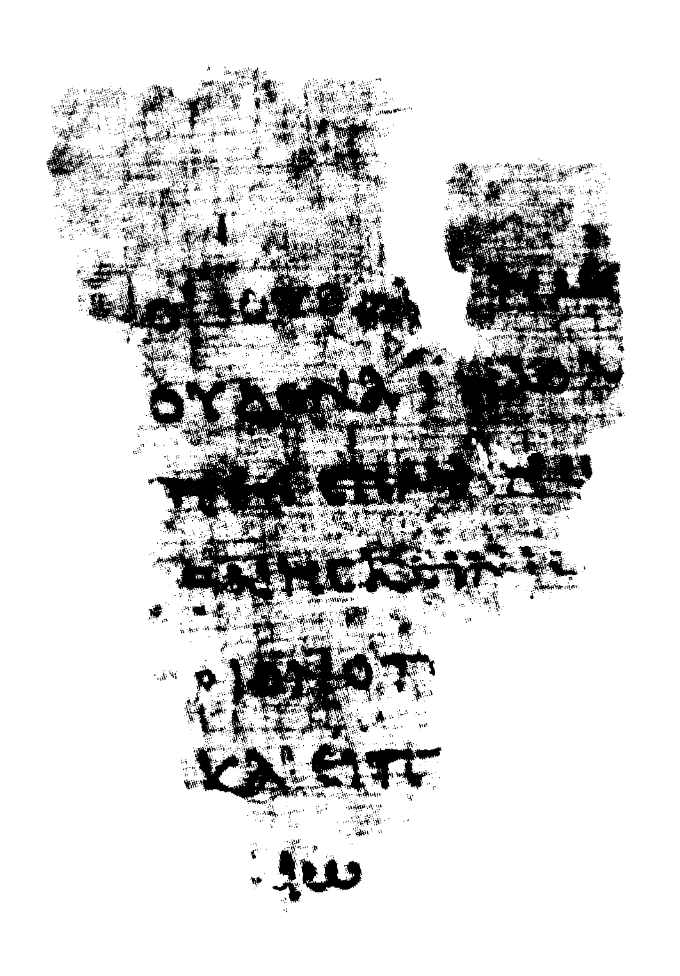
وسُميت هكذا لأنها محفوظة بمكتبة الفاتيكان بروما ـ إيطاليا. وقد كُتبت في نفس وقت النسخة السينائية حوالي القرن الرابع الميلادي. وهي تُعتبر أحسن وأثمن مخطوطة للإنجيل باللغة اليونانية محفوظة للآن.

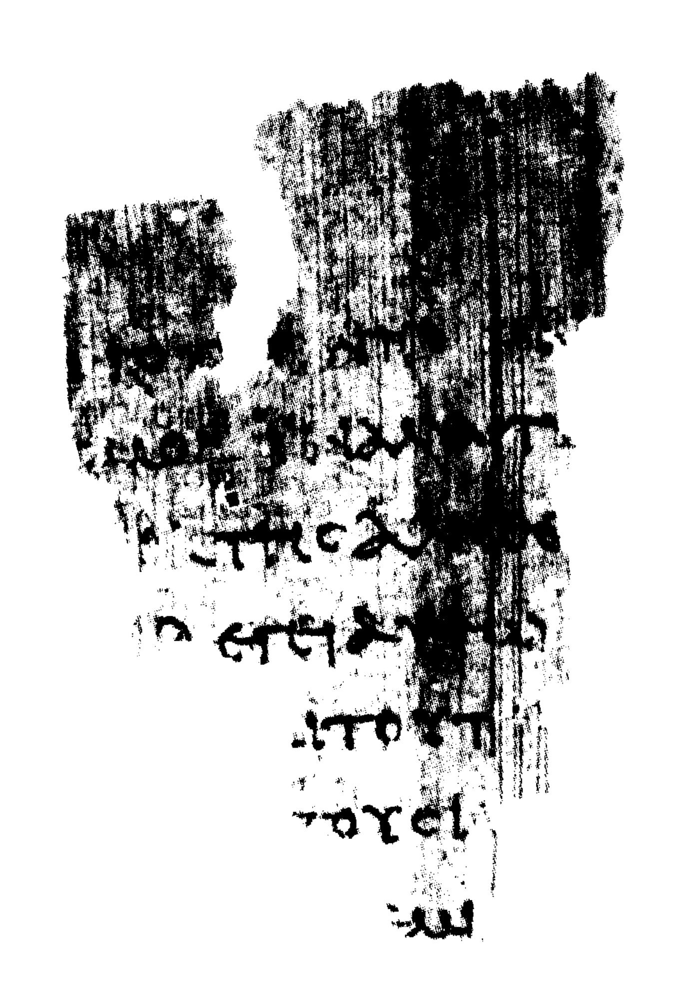


النسخة السينائية: **Codex Sinaiticus**

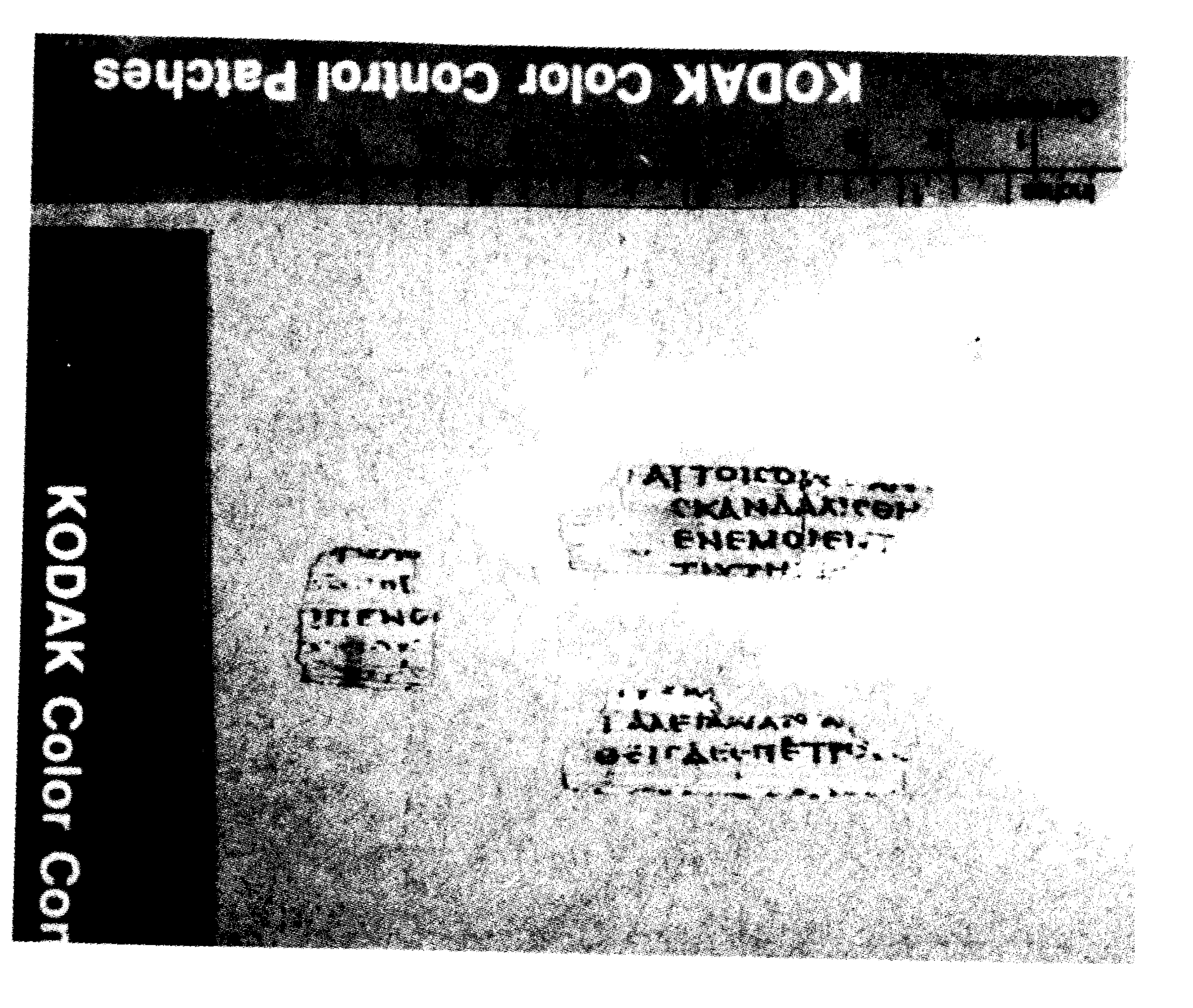
محفوظة بالمتحف البريطاني، لندن. وسُميت هكذا لأنها وُجدت في دير سانت كاترين بجبل سيناء. وقد كُتبت في القرن الرابع الميلادي وتحوي كل أسفار العهد الجديد وبعض أسفار العهد القديم. والصورة المنشورة لصفحتين تحويان: نهاية إنجيل لوقا (الصفحة اليسرى)، وبداية إنجيل يوحنا (الصفحة اليمنى).

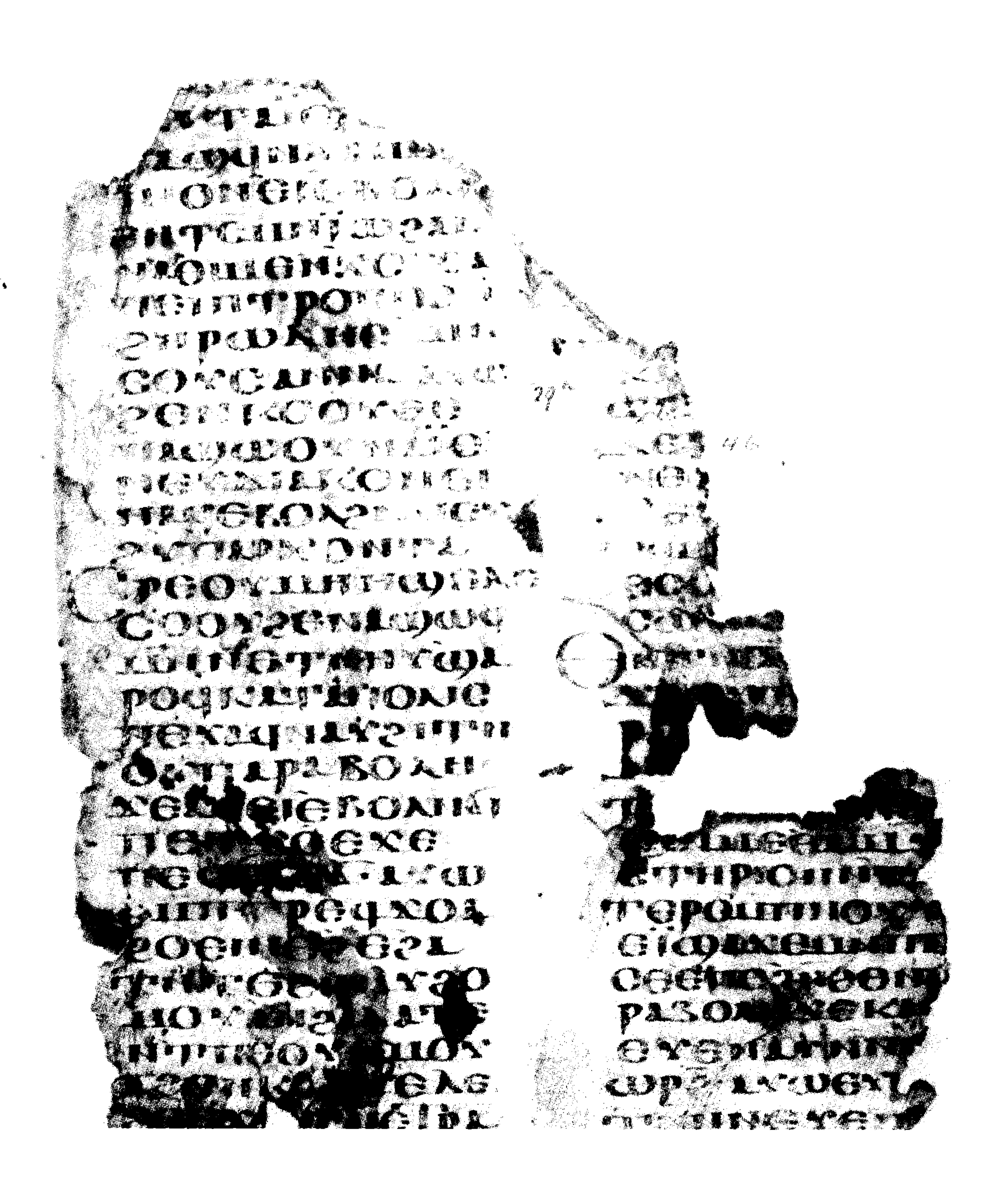
مخطوطة "تشستر بيتي"، وسميت هكذا بسبب الشخص الذي اقتناها من مصر عام ١٩٣٠م وتحوي بعض أسفار العهد الجديد. وهذه الصورة تمثل صفحة بها أعداد من رسالة رومية ١١:٣-١٢. ويرجع تاريخ كتابة هذه المخطوطة إلى القرن الثالث الميلادي، أي أقدم من تاريخ النسخة السينائية. وهي الآن محفوظة في دبلن ـ أيرلندا.





قطعة بردي من أقدم نسخ العهد الجديد
وتسمى بردية رايلاندز **The Rylands Fragment**
وترجع إلى حوالي سنة ١٥٠ ميلادية، وتحوي نصوصاً
من إنجيل يوحنا ١٧ :٣٧و٣٨. وعُثر عليها في مصر
سنة ١٩٢٠ وهي الآن في مكتبة جون رايلاندز
بمانشستر ـ إنجلترا.


KODAK Color Control Patches
KODAK Color Con



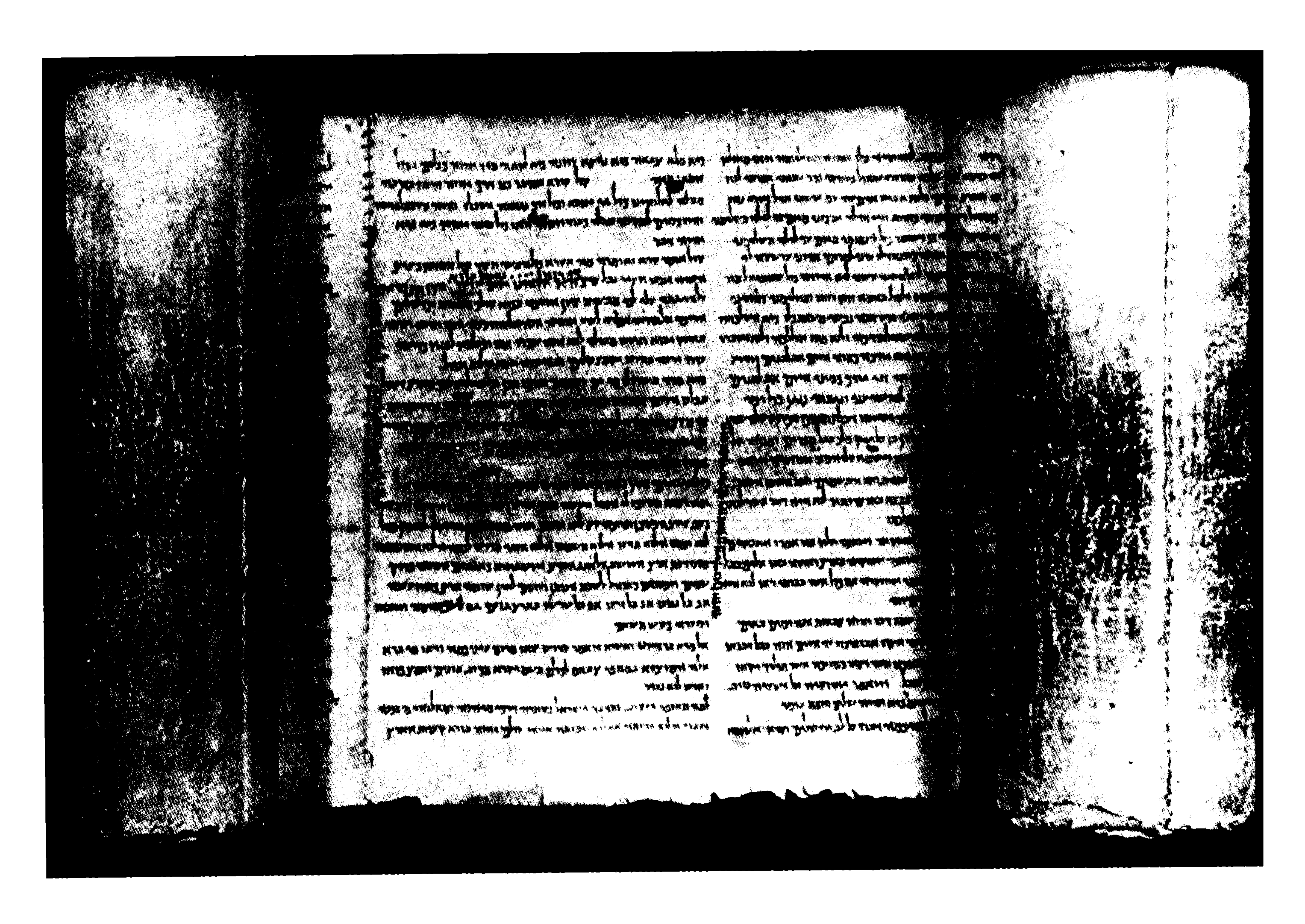
النسخة القبطية

وهي باللغة القبطية التي تُرجم إليها
الكتاب المقدس قبل القرن الثاني
الميلادي وهذه صفحة من المخطوطة.

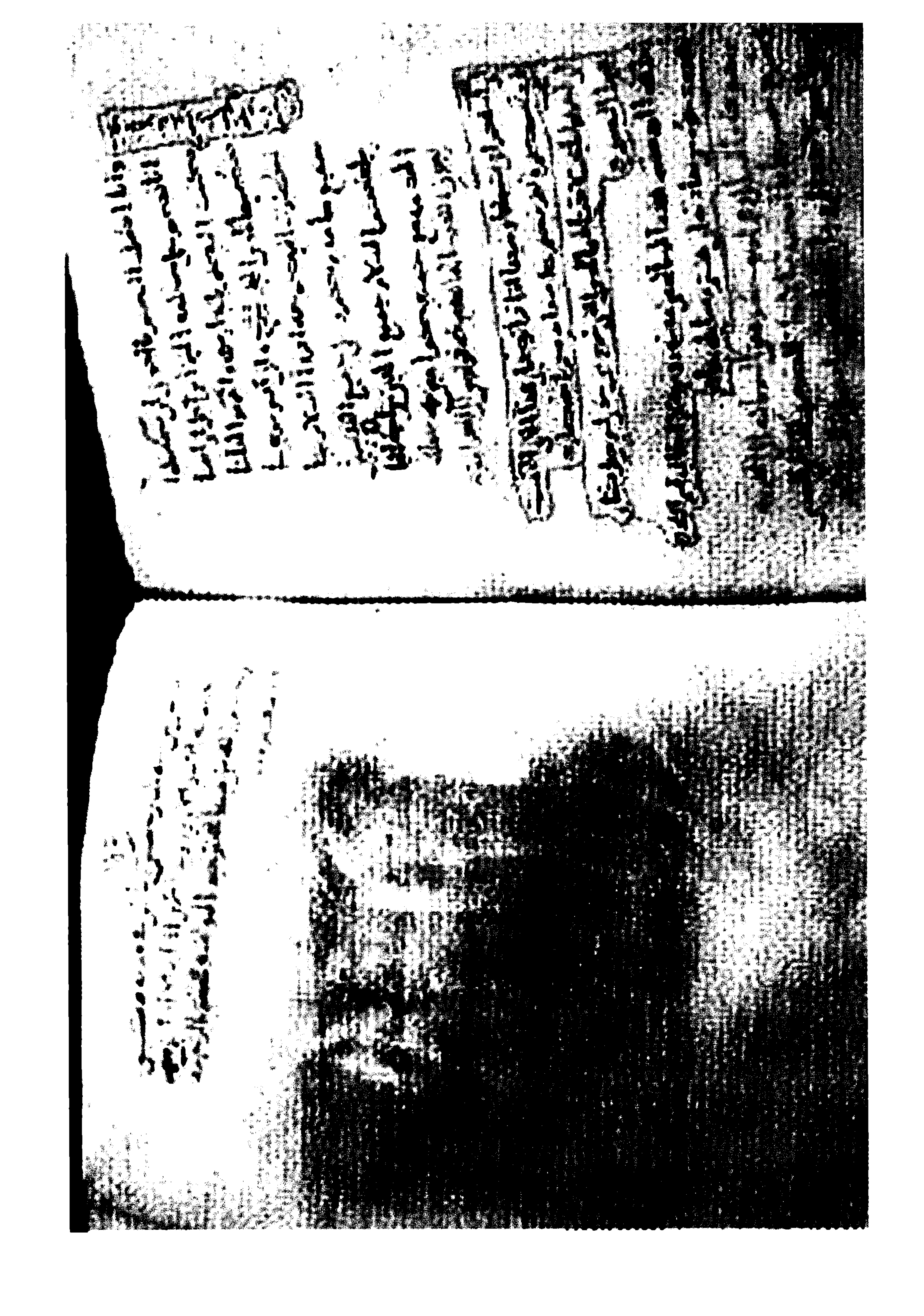


مخطوطة قديمة جدًّا ترجع إلى القرن الأول، وتحوي بعض أحداث حياة المسيح.

وقد أشار القديس لوقا في بداية إنجيله إلى مصادر متعددة للإنجيل بقوله: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة عن الأمور المتيقنة عندنا» (لوقا ١:١)؛ وكذلك القديس يوحنا بقوله: «... إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة.» (يو ٢١:٢٥)



صفحة من الدَرْج الذي يحوي نبوة إشعياء، وهي مثل الدَرْج الذي فتحه المسيح في مجمع كفرناحوم وقرأ فيه (لو ٤:٢٦).



أقدم مخطوطة للكتاب المقدس باللغة العربية

اكتشفت في دير سانت كاترين في القرن التاسع عشر. ويرجع تاريخ نساختها إلى ١١٠٠ سنة مضت، وهي صورة طبق الأصل لأقدم ترجمة عربية عام ٨٦٧. وتحوي أقدم ترجمة عربية مع تعليقات هامشية من المترجم، وملاحظات على النص، ومعاني بعض الكلمات. وقد نُشرت هذه المخطوطة في مجلد واحد، بواسطة معهد الشرق الأوسط لدراسات العهد الجديد.

الأيام بين أبناء النور وأبناء الظلمة، أما الدرج الأخير فيشمل أربعة أجزاء من مجموعة مزامير للشكر.

وفي سنة ١٩٥٦ أصدر "يادين" مع "أفيجاد" كتاباً آخر عن الدرج الخامس الذي ظنوه في أمريكا أنه "سفر لامك" فأظهروه هم أنه من كتاب "المدراش"(٢) في تفسير بعض أصحاحات من سفر التكوين، وأطلقوا عليه اسم "أبوكريفا التكوين Genesis Apocryphon" أما محتويات الكهف الأول كلها فقد صدر أول كتاب عنها سنة ١٩٥٥ بعنوان: "كهف قمران رقم ١" باللغة الإنجليزية.

اكتشافات أخرى:

وفي أواخر صيف سنة ١٩٥١ عثر بعض رجال قبيلة التعامرة على قليل من القطع الأثرية التي وجدوها في مغارتين أخريين في "وادي المربعات" على بُعد أحد عشر ميلاً من مغارة القُمران الشهيرة الأُولى، وعلى بُعد ميلين من البحر الميت غرباً.

وفي أوائل سنة ١٩٥٢ قامت حملة عاجلة للتنقيب في محتويات هذين الكهفين اللذين كانا يُستعملان أيضاً لأغراض الاختباء في العصور المختلفة. وقد وُجد فيهما مخطوطات لأسفار الكتاب المقدس وكلها من النسخة الماسورية(٣) من ضمنها درج يشمل أسفار الأنبياء

---

(٢) المدراش هو نوع من الشروحات اليهودية عن بعض أجزاء من العهد القديم يتراوح تاريخ كتابتها بين القرن الثاني والثالث عشر بعد المسيح.

(٣) ماسورية: كلمة عبرية الأصل تعني تقليدية، النسخة الماسورية أي المترجمة حسب الأصول التقليدية.

الصغار الاثني عشر، ومخطوطة بردية مكتوبة فوق كتابتها الأصلية التي من القرن الثامن قبل الميلاد، ويطلق على هذا النوع من المخطوطات: Palimpsest(٤). كما وُجدت بعض الرسائل المكتوبة على البردى باللغة العبرية تكشف في غالبيتها عن الظروف التي أحاطت بثورة اليهود على روما سنة ١٣٢-١٣٥م أي بعد المسيح بمائة سنة تقريباً، واثنان من هذه الرسائل كانا بتوقيع زعيم لليهود اسمه "سمعان باركوكبا"(٥) قائد هذه الثورة، والبعض الآخر ذُكر فيه أنها كُتبت في أيام "تحرير إسرائيل بواسطة حكم سمعان باركوكبا أمير إسرائيل".

وقد اكتُشفت أيضاً مخطوطات أخرى عند منطقة تسمى "خِربة ميرد" على بُعد ميلين ونصف شمال شرقي دير مار سابا الشهير، ولكنها ترجع إلى تاريخ متأخر. وهذه المخطوطة أيضاً عن الكتاب المقدس وهي مكتوبة باللغتين اليونانية والأرامية الفلسطينية من القرن الخامس إلى الثامن الميلادي. وفي مكان آخر غير معروف حالياً، وفي يوليو سنة ١٩٥٢ تم الكشف على بعض المخطوطات البردية اليهودية والنبطية(٦)، وجزء من النص اليوناني لأسفار الأنبياء الصغار.

وإن كانت مخطوطات وادي المربعات وخربة ميرد ليس لها صلة

---

(٤) Palimpsest: كلمة يونانية الأصل تتكون من مقطعين palin = مرة أخرى، psao = يكشط لدرجة النعومة، أي يكشط الكتابة ليستعمل المخطوطة مرة أخرى.

(٥) أصل اسمه سمعان باركوزيبا: أي سمعان الكذاب. وقد غير اسمه رئيس الربيين في ذلك الوقت وسماه "سمعان باركوكبا" أي ابن الكوكب على اعتبار أنه "الكوكب الذي يبرز من يعقوب" أي "المسيَّا المنتظر" تحقيقاً لنبوة بلعام بن بعور (عد ٢٤: ١٧)، ولكنه قُتل!!

(٦) النبطيون هم من سلالة العرب الذين حكموا أدومية.

مباشرة بمخطوطات وادي القمران، إلا أنها أثارت الاهتمام لإعادة البحث في وادي القمران فتم الكشف عن ٣٧ مغارة أخرى في مارس سنة ١٩٥٢، وجدت في بعضها أيضاً قدور ملآنة بالمخطوطات.

ففي الكهف رقم ٢ الواقع على بُعد مسافة صغيرة من الكهف الأول، وُجدت أجزاء من الكتاب المقدس وكتب الأبوكريفا، من بينهم كتاب اليوبيل ومخطوطة بالأرامية تصف أورشليم الجديدة.

وفي الكهف رقم ٣، على بُعد ميل شمال الكهف رقم ١، وجدت ٢٧٤ قطعة من المخطوطات المكتوبة بالأرامية والعبرية. ومعها درجان من النحاس.

أما الكهف رقم ٤، الواقع في الجهة المقابلة غرب "خربة القمران" الذي اكتشفه أولاً العرب البدو في تلك المنطقة، فإنه يعتبر أغنى الكهوف جميعها من حيث ما قدَّمه للعالم من المخطوطات الهامة: فقد وُجد فيه جميع أسفار الكتاب المقدس فيما عدا سفر أستير، وكثير من كتب الأبوكريفا المعروفة وغير المعروفة، وكثير من الشروحات، وكتب الصلوات، وكتابات أخرى خاصة بشيعة الأسينيين.(٧)

أما الكهوف أرقام ٥ و٦ بالقرب من قمران، فلم يعثر فيها على شيء يذكر، وكذلك الكهوف أرقام ٧ إلى ١٠ التي اكتشفت فيما بعد سنة ١٩٥٥.

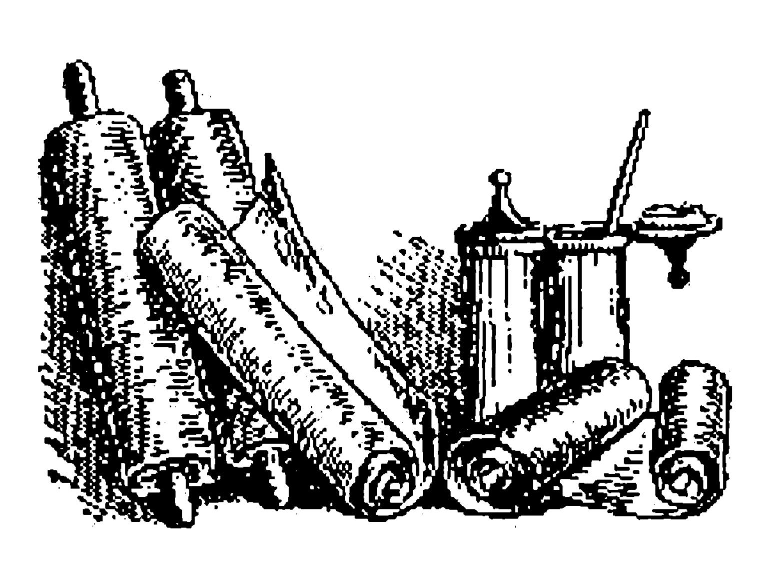
ثم تم الكشف فيما بعد عن وجود بعض الدروج الكاملة تقريباً في الكهف رقم ١١ الذي بالقرب من رقم ٣.

---

(٧) شيعة الأسينيين: إحدى طوائف اليهود.

وقد جمعت كل هذه المخطوطات وحُفظت في المتحف الفلسطيني بأورشليم حيث نُظِّفت، ونُظِّمت، وطُبعت بواسطة نخبة من الباحثين العالميين.

ولكن أعجب ما في تلك الاكتشافات هذان الدرجان النحاسيان اللذان وُجدا في الكهف رقم ٣، وهما في الأصل عبارة عن ثلاثة شرائح أو ألواح من النحاس ملتحمة ببعضها ويبلغ طولها معاً حوالي ٢٣٥ سم، وقد تأكسدت مادة النحاس بدرجة أنه لم يمكن بسطها. لذلك اضطر الأمر إلى تقطيعها إلى شقق صغيرة، وقد تمت هذه العملية في كلية مانشستر للأبحاث التكنولوجية ما بين سنة ١٩٥٦ إلى سنة ١٩٥٧. وقد وُجد أن كِلا الدرجين يحويان معاً اثني عشر عموداً من الكتابة. ويعتقد أحد العلماء (ك. ج. كان) بعد فحصه للحروف البارزة على ظهر الدرجين، أنها تشير إلى مجموعة من الكنوز الهائلة والأماكن التي أخفيت فيها. وبسبب ما ذكرته هذه الإشارات عن الكميات الضخمة من المعادن الكريمة والثمينة فإنه يُظن أنها هي كنوز هيكل سليمان.



الفصل الثاني

أعمال الحفر والتنقيب في منطقة القمران

ليس بالأمر السهل تحديد زمن كتابة مخطوطات وادي القمران بدون التنقيب عن الحفريات الأخرى التي قد توجد في المنطقة ودراستها.

وكان أحد العلماء ويدعى "كلير مونت جانو" قد اعتقد خطأ عندما نقَّب في تلك الناحية سنة ١٨٧٣م، أنها مكان مدينة عمورة التي نزلت نار من السماء وأحرقتها بسبب خطاياها أيام إبراهيم أب الآباء. وظن البعض الآخر أن تلك الخرائب التي تبدو عليها آثار الحرائق كانت نقطة مراقبة حربية للجيش الروماني. ولكن محتويات مغاير وادي القمران وجهت النظر إلى احتمالات أخرى غير هذه، إذ ليس من المعقول أن تكون تلك المخطوطات العديدة التي اكتشفت قد كُتبت في الكهوف الضيقة المظلمة التي وُجدت فيها، كما لا يعقل أنها قد جُلبت من المدن المجاورة لتخزن في كهوف بعيدة عن العمران، خاصة وأن المؤرخ الروماني بليني في كتابه *Historia Naturalis* الذي كتبه عام ٧٠ م ذكر أنه رأى ديراً لجماعة الأسينيين قريباً من شاطئ البحر الميت الغربي.

وهذه الاستنتاجات وغيرها من الاعتبارات هي التي حملت المسؤولين بأن يقوموا بأعمال التنقيب والحفر في تلك المنطقة.

وقد جرت عمليات الحفر في فترات محددة بين عام ١٩٥١م حتى ١٩٥٦م. وقد أسفر البحث عن الكشف عن حطام دير ضخم مرمَّم، كان يستخدم كمركز للجماعة التي كانت تسكن تلك المنطقة. وأمكن أيضاً تمييز الأحقاب والظروف التي مر بها هذا البناء:

أولاً: فقد دل الموقع على أنه مكان مدينة كبيرة من القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد، وقد تحقق منها العلماء على أنها "مدينة الملح" المذكورة في سفر يشوع ١٥:٦٢، وكانت من نصيب سبط يهوذا من المدن الواقعة في البرية.

ثانياً: هُجِرَت هذه المدينة في أواخر القرن السادس قبل الميلاد عندما سقطت مملكة يهوذا في يد نبوخذنصر ملك بابل وسبى يهوذا من أرضه (٢مل٢٥)، وظلت تلك المدينة مهجورة نتيجة الظروف القاسية التي جاز بها اليهود حتى قيام المكابيين. فقد عمرت بالسكان مرة أخرى في فترة ما في النصف الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد. وقد استُدِلَّ على ذلك من أدلة كثيرة منها العثور على ثلاث عملات فضية يرجع تاريخها إلى أيام حكم السلوقيين لفلسطين بين عامي ١٣٦-١٢٩ ق.م، وكذلك اثنتي عشرة عملة برونزية من أيام يوحنا هيركانس[١] رئيس

---

(١) اعتبر اليهود المتمسكون بالناموس، وضع يوحنا هيركانس في جمعه بين الحكم والكهنوت بدعة مخالفة للشريعة وعارضوه بشدة، ومن هنا بدأت شيعة الفريسيين المتمسكين بالناموس والصدوقيين الذين يمثلون الهيئة الحاكمة ورئاسة الكهنوت.

الكهنة الذي حكم اليهود جامعاً ين الملك والكهنوت ين عامي ١٣٤-١٠٤ ق.م، ويظهر أن المكان لم يسكنه إلا قليل من الشعب في تلك الأيام.

ثالثاً: ولكن يبدو أنه قد أعيد بناء المدينة وتوسيعها أيام ألكسندر يوحنان الملك ورئيس الكهنة أيضاً (١٠٣-٧٦ ق.م)، إذ وُجدت ست وثمانون عملة ترجع إلى عهده. إنما كان ذلك البناء الجديد مصمَّماً على هيئة مؤسسة دينية أقرب إلى مباني دير ضخم منه إلى أي شيء آخر. وكان ذلك هو عصرها الذهبي بلا شك.

رابعاً: ولكن ذلك لم يدُم طويلاً، فقد وقع زلزال في المنطقة عام ٣١ ق.م حسبما ذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي المعاصر لرسل المسيح في كتابه عن الحروب اليهودية، وقد أدى الزلزال إلى هدم غالبية المدينة وهجر الدير، كما يستدل على ذلك من عدد العملات القليلة ـ خمسة فقط ـ التي وُجدت والتي يرجع تاريخها إلى عهد هيرودس الكبير (٣٧-٤ ق.م) الذي جاء مخلصنا وفادينا يسوع المسيح في أواخر أيامه.(٢)

خامساً: أعادت الجماعة بناء الدير ثانية في عهد أرشيلاوس الملك (٤ق.م-٦م)، وظل المكان عامراً بالسكان حتى السنة الثالثة من الحرب اليهودية التي اندلعت مع الرومان سنة ٦٦م. حيث حاصرتهم الفرقة الرومانية العاشرة التي غزت أريحا سنة ٦٨م، ويتضح من بقايا

---

(٢) ومن الأمور التي تزيد من أهمية تلك الحفريات أنها تكشف لنا عن حقبة من التاريخ بين العهدين القديم والجديد، لا يتوفر لدينا عنها مراجع تاريخية كافية وخاصة بالنسبة لتاريخ اليهود والأرض المقدسة التي نادى فيها الرب يسوع بكرازته.

الرماد والأجزاء المتفحمة من المبنى أن الدير قد أحرقه الأعداء بعد أن دافعت عنه الجماعة ببسالة كما ذكر يوسيفوس.

سادساً: في الثلاثين أو العشرين سنة التالية لتلك الأحداث استُخدِمَت منطقة القمران كمعسكر للجيوش الرومانية. ثم استخدمه أتباع بار كوكبا في القرن الثاني الميلادي كوَكْرٍ للقيام منه بثوراتهم ضد المستعمرين، وقد تركوا خلفهم دليلاً على إقامتهم ثلاث عشرة عُملَة يرجع تاريخها إلى ثورة اليهود سنة ١٣٢-١٣٥م.

وصف المبنى:

ومن الآثار المتبقية حتى أيامنا، أمكن لرجال الآثار معرفة تصميم المبنى. فقد تبين أن المياه كانت تصل إلى تلك المنطقة المقفرة عن طريق شبكة مائية من القنوات الحجرية التي تنقل مياه الأمطار المتساقطة في فصل الشتاء من المنحدرات الواقعة غرب تلك المباني إلى المستودعات الضخمة التي عُمِلَت خصيصاً لجمع الماء. وفي بعض من هذه المستودعات وُجِدَت درجات هابطة إلى أسفلها لكي ينزل عليها أفراد الجماعة على اختلاف درجاتهم لممارسة طقس التطهير بالماء(٣).

وفي الجنوب من المبنى وُجدت قاعة ضخمة مستطيلة الشكل يبلغ طولها حوالي ٢٢,٥ متراً وعرضها حوالي ٥ أمتار، كانت تستعمل كقاعة للأكل حيث وُجد ملحقاً بها غرفة تحوي بضع مئات من الأقداح والأطباق والكؤوس والقدور.

---

(٣) سوف يرد ذكر تفاصيل ممارسة هذا الطقس عند الحديث عن المعتقدات الدينية لهذه الطائفة.

ومن الأدلة القوية على وجود الحياة يوماً ما داخل أسوار ذلك البناء، تلك البقايا من حطام دكاكين الصناع وذوي الحرف مثل: صناعة الخزف، والحدادة، وطحن الغلال، وأفران الخبز، والمغاسل.

والمبنى كله الذي يشبه المدينة محصنٌ بأسوار عالية وبرج قوي يقع في شماله الغربي. وفي الجنوب من البرج توجد قاعة خاصة للنساخة استُدِلَّ عليها من وجود منضدة طويلة ضيقة، بُنِيَت مقابلها "مصطبة" للجلوس، وأمامها مستودعان كبيران للحبر.

ولا شك أن البقايا المتخلفة من آثار هذه الجماعة تكشف لنا عن طبيعة حياتهم، وعن روح الحيوية والنشاط التي كانت سائدة بينهم، هذا بجانب الدروج التي وُجدت تشرح مبادئهم ومعتقداتهم، فإنها تبين أنهم كانوا مكرِّسين ذواتهم لعبادة الله، وكانوا رجالاً مناضلين، ومحاربين أشداء، وصنَّاعاً مهرة، ونُسَّاخاً مدققين. وبالإجمال كانت حياتهم تلائمها المعيشة في جماعة مشتركة لها هذه المواصفات.

وفي جنوب هذه المؤسسة وُجدت مقبرتهم حيث عُثر فيها على آلاف القبور. وقد لوحظ أن جثث الموتى ليس معها أي أدوات للزينة أو الترف؛ كما لوحظ وجود بعض هياكل عظام نسائية، مما يدل على أن بعض رجال هذه الطائفة كانوا متزوجين، أو أنه كان يعيش بالقرب منهم جماعات أخرى تمارس الزواج وتسمح بوجود عائلات بينها.

وعلى أي حال، فقد رقد في تلك القبور أناس عاشوا حياة الزهد

والتقشف والشركة، مهملين الكماليات التي يمكن أن تكون مجالاً للتفرقة والتمييز بين الإنسان وأخيه. وقد استقوا هذه المبادئ من الكتب المقدسة ومن إخلاصهم الصادق لله.

ومما هو جدير بالذكر أن الأواني الفخارية التي وُجدت في مقر هذه المؤسسة تشبه تماماً تلك التي وُجدت في مغاير وادي القمران المجاورة له.

دراسة المخطوطات وزمن كتابتها:

وقد بدأ العلماء بدراسة اللغة التي كُتِبَتْ بها هذه المخطوطات. فوجدوا أن غالبيتها قد كتبت باللغة العبرية القديمة التي كتبت بها أسفار العهد القديم، أما الباقي القليل منها فقد وُجد مكتوباً باللغة العبرية التي كتبت بها الميشنا.

ولكي نفهم كيف استطاع العلماء أن يتوصلوا إلى التفريق بين اللغة العبرية القديمة والحديثة، يلزمنا أن نعرج قليلاً على التطورات التي مرت بها اللغة العبرية في عصورها المختلفة.

فمن المعروف أن اللغة العبرية الأصيلة قد اعتراها كثير من التغيرات على مدى السنين. أما عصرها الذهبي فكان في الفترة بين موسى النبي وداود الملك. ثم أخذت في الانحطاط من ذلك الوقت حتى مُلْك حزقيا أو منسَّى وذلك بدخول كلمات غريبة عليها بسبب مخالطة اليهود للأشوريين والبابليين. ثم تكدر صفاء تلك اللغة تماماً ما بين حزقيا وسبي بابل.

وفي مدة السبي طرأ عليها تغيُّر عظيم. وعند الرجوع من السبي كان اليهود يتكلمون بلغة الكلدانيين ممزوجة بكلمات عبرية، لدرجة أنه كان من الضروري ترجمة الأسفار المقدسة للشعب بعد قراءتها عليهم باللغة العبرية في المجامع. غير أن الكهنة واللاويين ظلوا يدرسونها ويمارسونها بصفتها اللغة المقدَّسة، ولكي يتمكنوا من تفسير الناموس للشعب.

وقد أنشأوا لذلك مدارس ناجحة لتعليمها، كان أشهرها مدرستي هليل وشمعي في أيام المسيح. وبعد خراب أورشليم أنشئت مدارس جديدة لنفس الغرض في أماكن متعددة، أشهرها مدرسة طبرية التي بقيت مزدهرة إلى موت الحاخام يهوذا الملقب بالبار، أي حتى سنة ٢٣٠م، وهو أحد مؤلفي الميشنا (وهي مجموعة شروحات لأسفار العهد القديم وقد صارت فيما بعد أساساً للتلمود). وأقام بعض تلاميذه مدارس في بابل فاقت مدارس فلسطين وبقيت نامية إلى القرن العاشر بعد المسيح، وصارت هي ومدارس طبرية منشأ المؤلفات اليهودية الهامة التي تفسر الأسفار المقدسة مثل الترجوم والتلمود والماسورا، كما وضعوا قواعد للغة العبرية لحفظها من الضياع مثل الحركات والطعاميم التي تحدد النطق السليم للفظ.

وقد اعترى اللغة العبرية تغيير أيضاً في طريقة الكتابة. فقد كانت تُكتب بحروف قديمة مسماة بالحروف السامرية، ثم كُتِبَتْ بعد السبي بحروف مربعة الشكل مثل الحروف الكلدانية. وقد ورد في تاريخ يوسابيوس وتآليف إيرونيموس أن عزرا الكاتب هو الذي غيَّر هيئة

الحروف العبرانية القديمة وجعلها على هيئتها الحالية، وذلك لفائدة اليهود الذين وُلدوا أثناء السبي وكانوا جاهلين بلغتهم الأصلية.

وقد كانت أقدم المخطوطات ـ قبل كشف مخطوطات القمران ـ مكتوبة باللغة العبرية الحديثة، أي بالحروف المربعة وإنما بدون الحركات التي أدخلها فيما بعد معلمو مدرسة طبرية بقصد ضبط النطق الصحيح للفظ (مثل ما هو مستعمل في لغتنا العربية).

أما مخطوطات وادي القمران فهي مكتوبة باللغة العبرية القديمة. ويظهر من الخط الجميل الذي دُونت به أن الذين قاموا بنساختها جماعة من النساخ المهرة، وقد استعملوا الرقوق لذلك الغرض وهي جلود الحيوانات بعد تنظيفها من الناحية التي فيها الشعر، وتسطيرها بخطوط أفقية للكتابة عليها، وخطوط رأسية لتحديد الهوامش، وطريقة الكتابة تشبه إلى حد بعيد تلك التي كتبت بها المخطوطة المشهورة باسم "بردية ناش" التي تمثل نوع الكتابة السائد في فترة معينة من الزمان (بين ١٥٠ و٣٠ قبل الميلاد) وتسمى الفترة الهاسمونية. وقد استخدم العلماء أحدث الطرق العلمية في فحص الأقمشة الملفوف بها هذه الدروج لتحديد زمنها بواسطة الإشعاعات الراديوكربونية، فوجدوا أنها ترجع إلى الفترة بين القرن الثاني والأول قبل الميلاد.



الفصل الثالث

ماذا تحوي هذه المخطوطات

أولاً: الأسفار المقدسة:

لاشك أن الأهمية الأولى والعظمى لمخطوطات وادي القمران ترجع إلى أنها شملت فيما تشمل جميع أسفار العهد القديم فيما عدا سفر أستير. وجدير بالذكر أن هذا السفر هو آخر الأسفار التي قَبِلَها اليهود ضمن أسفار العهد القديم القانونية. ويلاحظ أنه يخلو تماماً من ذكر اسم الجلالة: الله، كما أنه لا يشير إشارة مباشرة إلى الأمور الدينية فيما عدا الصوم، إلا أن عناية الله وتدبيره للأحداث تظهر جلية من خلال السفر كله. أما قيمة السفر فتتركز في الناحية القومية التي أعطته فيما بعد أهمية تقليدية عند اليهود حتى أنهم يتلونه دائماً في كل عيد من أعياد البوريم.(١)

وأكبر المخطوطات التي وُجدت، نسختان من سفر إشعياء النبي وهما اللتان وُجدتا في أول كهف تم كشفه. وإحدى النسختين تشمل السفر بأكمله باللغة العبرية، وهي تُعد أكبر الدروج وأكثرها احتفاظاً بحالتها، أما النسخة الثانية فتحتوي على ثلث السفر فقط.

---

(١) الحادثة المذكورة في سفر أستير الخاصة بخلاص الشعب اليهودي جُعِلَت أساساً لعيد البوريم أي النجاة.

أما أقدم المخطوطات التي وُجدت فهي سفر اللاويين باللغة العبرية القديمة، ويليها في القِدَم أجزاء من سفر صموئيل النبي يرجع تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

وقد استنتج الباحثون من نسبة توزيع المخطوطات على أنحاء المنطقة المكتشفة أن الأسفار المفضلة لدى تلك الطائفة كانت أسفار التثنية، فالمزامير، فإشعياء، والتكوين. ويُلاحظ أن هذه الأسفار بالذات هي أكثر الأسفار التي تشتمل على نبوءات ووعود واضحة عن مجيء المسيح المخلِّص وعمله الكفاري.

ولكن لم يمكن معرفة نوع النص التقليدي المعتمد لدى تلك الطائفة، لأن المخطوطات التي وُجدت تمثل مجموعة متعددة الأنواع من حيث النص(٢)، فبعضها مطابق للنسخة الماسورية، بينما البعض الآخر (مثل سفر صموئيل الأول والثاني) شديد الشبه بالأصل العبري للترجمة السبعينية، وتوجد نصوص أخرى أكثر قرباً للنص الماسوري، وأخرى خليط من أنواع مختلفة.

ولكن يلاحظ وجود اتجاه سائد نحو تحديد نوع معين من النصوص، فالمخطوطات التي وُجدت في وادي المربعات والتي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني بعد الميلاد وُجدت كلها مطابقة للنص

---

(٢) الأنواع المتعددة من النصوص يقصد بها الاختلاف في النصوص من حيث تشكيلها من عدمه وتقسيمها إلى أصحاحات وآيات وفقرات تختلف طولاً وقصراً... إلخ. وقد أُجريت أنواع كثيرة من هذه التقسيمات، فالنص الماسوري مثلاً مقسَّم إلى فقرات وآيات وأمام كل فقرة حرف من الحروف الأبجدية العبرية بالترتيب.

الماسوري، مما يدل على أن التطور قد وصل إلى أقصى مداه في ذاك الوقت حيث أن النص الماسوري هو أحدث هذه النصوص كلها.

ثانياً: كتب الأبوكريفا:

وقد زودتنا هذه الكهوف أيضاً بمخطوطات باللغتين العبرية والأرامية لكتب الأبوكريفا Apocrypha، والمنحولة (=بسودإبيجرافا Pseudepigrapha). أما الأبوكريفا فهي كلمة يونانية معناها "مخفي"، وهي التسمية المصطلح عليها للتعبير عن مجموعة معينة من الكتب الدينية التي تشتملها الترجمة السبعينية لكتاب العهد القديم، بجانب الأسفار القانونية المعروفة لدينا الآن في الطبعة البيروتية القديمة للكتاب المقدس، وقد كان يُظَن أن أغلب هذه الكتب غير معروف عند يهود فلسطين وأن منشأها هم يهود الإسكندرية الذين تمت لديهم ترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية "السبعينية" استجابة لطلب بطليموس خليفة الإسكندر الأكبر.

وقد قبلت الكنيسة المسيحية الجامعة، منذ العصور الأولى، هذه الأسفار ضمن الكتاب المقدس باعتبارها أسفاراً قانونية ثانوية، علماً بأنه يوجد في أسفار العهد الجديد اقتباسات من هذه الكتب وهي: طوبيا، يهوديت، الحكمة، يشوع بن سيراخ، المكابيين الأول، المكابيين الثاني، وإضافات لسفر دانيال وسفر أستير.

وقد وُجد من هذه الكتب في مخطوطات القمران نسخة واحدة فقط من سفر يشوع بن سيراخ مطابقة للنص العبري الذي وُجد في بداية القرن العشرين في مجمع اليهود بمصر القديمة (القائم بجوار كنيسة

المعلقة بكنيست إرميا النبي، وهو المكان الذي استُشهد فيه إرميا النبي أثناء سبي نبوخذنصر، ويُقال أنه وُجد أيضاً سفر بخَط عزرا الكاتب) كما وُجد أيضاً سفر طوبيت باللغتين العبرية والأرامية.

أما الكتب المنحولة (=بسودابيجرافا) فهي عبارة عن بعض الكتابات اليهودية التي لم تُقبَل قط ضمن الأسفار القانونية للعهد القديم، وإن كانت قد نُسبت زوراً لبعض أنبياء العهد القديم، وتُرجِم بعضها مع ترجمات الكتاب المقدس باللغات اللاتينية واليونانية والسريانية والإثيوبية، ولكنها لم تُضَم في يوم من الأيام مع الأسفار القانونية المعترف بها لدى اليهود أو الكنيسة المسيحية. ومع ذلك فإنها تلعب دوراً هاماً في إلقاء الأضواء على تفكير اليهود في الفترة التي بين العهدين القديم والجديد من جهة مجيء المسيَّا وتأسيس العهد الجديد، حيث يمكن أن نتحسس فيها خيطاً دقيقاً من الفكر الرؤيوي الذي يتخلل أغلبها. حتى إنه يمكننا أن نسميها "الكتابات الأدبية للحركة الرؤيوية اليهودية"، التي تتطلع إلى مجيء المسيَّا وصفاته التي كانوا يتخيلونها.

وقد وُجد من هذه الكتب في مخطوطات القمران: سفر اليوبيل الذي وُجدت منه نسخ متعددة، وكذلك سفر أخنوخ، وعهد لاوي، والميثاق الجديد لأرض دمشق، وكتب أخرى غير معروفة لدينا.

ويمكن أن نستنتج من ذلك ما يأتي:

١ ـ بعض كتب الأبوكريفا التي لم يُعرف لدينا أصلها حتى الآن

يمكن أن يكون مصدرها تلك الطائفة التي كانت تقطن وادي القمران.

٢ ـ بعض هذه الكتب لم يكن معروفاً عند تلك الطائفة كلية أو جزئياً، فمثلاً سفر أخنوخ المكون من عدة أجزاء لم يوجد أي أثر للجزء الثاني منه وهو الذي يشمل رؤى ابن الإنسان.

كما لم يوجد لديهم إلا سفر عهد لاوي أما بقية الأسباط الاثني عشر فلم يوجد لها عهود (مع أنها معروفة ضمن كتب البسودابيجرافا).

٣ ـ من المحتمل العثور على كتب أخرى من البسودابيجرافا تدور حول شخصيات الكتاب المقدس.

ثالثاً: بعض الشروحات والمقالات المؤلفة على أسفار أو موضوعات الكتاب المقدس:

وقد خلفت هذه الطائفة أيضاً وراءها عدداً من الشروحات والمقالات التي ألفوها على أسفار أو موضوعات الكتاب المقدس، ومن ضمنها كتاب **الميدراشيم** الذي يشبه سفر اليوبيل في شرحه الإجمالي للنص، وكتاب **البيشاريم** وهو نوع من التفسير الذي تتميز به هذه الطائفة، حيث يكتبون السفر آية آية وعقب كل آية يوردون شرحها ثم تطبيقها على تاريخهم. وقد وُجدت أسفار إشعياء وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا مشروحة بهذه الطريقة.

ويُعتبر كتاب "أبوكريفا التكوين" نموذجاً مثالياً لكتاب "**الميدراشيم**"، وفي بعض نصوصه يتكلم عن الميلاد المعجزي لنوح وكيف أن أباه لامك

ساوره الشك في أن زوجته قد تزوجت بأحد الملائكة "أولاد الله" الذين نزلوا من السماء واقترنوا ببنات الناس (قارن تك ٦: ١-٤).

أما النموذج المثالي لكتابات البيشاريم فهو "تفسير نبوة حبقوق"، وإليك نصوصه:

الآية ١-٢:

«الوحي الذي رآه حبقوق النبي ــ حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع؟ أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلِّص؟»
تفسيرها: أن ذلك يختص ببداية الجيل الأخير...

الآية ٣:

«لِمَ تُريني إثماً وتبصر جوراً. وقدامي اغتصاب وظلم ويحدث خصام وترفع المخاصمة نفسها؟»

الآية ٤:

«لذلك جَمَدَت الشريعة ولا يخرج الحكم بتة».
يعني بذلك أولئك الذين استخفوا بناموس الله...
«لأن الشرير يحيط بالصديق».
الشرير هو الكاهن الشرير والصديق هو مُعلِّم الصلاح...!

الآية ٥:

«انظروا بين الأُمم وأبصروا وتحيروا حيرة. لأني عاملٌ عملاً في أيامكم لا تصدقون به إن أُخبر به».

يعني بهذا أولئك الذين كانوا غير مؤمنين متفقين مع المنافق، في

كونهم لم يسمعوا للكلمة المرسلة من فم الله بواسطة معلم الصلاح. وهذا يتعلق بعدم الإيمان بالعهد الجديد، في كونهم لم يصدقوا عهد الله فانتهكوا قدسية اسمه القدوس. وهذا القول يُقصد به أولئك الذين لن يؤمنوا في نهاية الأيام، هؤلاء الرجال القساة ناقضو العهد، لن يصدقوا ما سيسمعونه عن كل ما سيحدث في نهاية الأجيال من الكاهن العظيم الذي وضع الله في قلبه الفهم والمعرفة لكي يفسر كل كلمات الأنبياء الذين بواسطتهم قد سبق فأنبأ الله عن كل ما هو عتيد أن يحدث لشعبه ولبلاده.

ويُلاحظ في تفسيرهم هذا إيمانهم بضرورة مجيء ذلك المعلم «معلم الصلاح»، والكاهن العظيم الذي يفسِّر أقوال الأنبياء عن كل ما هو عتيد أن يحصل في نهاية الأيام!!

كما وُجد أيضاً نوع جديد من المؤلفات، عبارة عن بعض النصوص الكتابية المختارة المجمَّعة في كتاب واحد وتسمى "الفلوريليجيا" Florilegia.

ونوع آخر من تجميعات النصوص بطريقة موضوعية، حيث يشمل الكتاب مجموعة من النصوص التي تبرهن على فكرة معينة أو تخدم موضوعاً محدداً.

ويسمى هذا النوع "التستيمونيا": Testimonia.

ومثال للنوع الأول: مجموعة أجزاء من الخروج وصموئيل الثاني وإشعياء وعاموس، وهي تشبه القراءات في كنيستنا.

ومثال للنوع الثاني: مجموعة نصوص عن مجيء المسيَّا مجمَّعة من تث ٥:٢٨و٢٩؛ تث ١٨ و١٩ وعدد ٢٤:١٥-١٧؛ تث ٣٣:٨-١١.

رابعاً: كتب عن نظام حياة الطائفة وطرق عبادتهم:

ومن بين الكتب التي وُجدت ما يصف نظام حياة هذه الطائفة وطرق عبادتهم وصلواتهم، ويمكن تقسيمها إلى ما يأتي:

١ ـ كتب الأحكام: (سيراكيم Serakim) ومنها كتاب يدعى "دليل السلوك"، وكتاب "دَرْج الحرب".

وإليكم بعض ما جاء في "دليل السلوك" كمثال يوضح نوع أحكامهم وأسلوب حياتهم:

[إذا انغمس شخص في حديث مذمة ووشايات ضد الآخرين، فإنه يُجازَى بثلاثة أشهر بتنقيص طعامه المقرر... وكذلك كل من ينام في الاجتماع العام يجازى بثلاثين يوماً. وعلى الجميع أن يطيعوا من كانوا أعلى منهم مرتبة في كل ما يتعلق بأمور العمل، وأما عند الأكل والعبادة والاستشارة فللجميع حقوق متساوية.

ويُطلب من كل عضو أن يتمم إرادة الله كل يومٍ وفي كل وقت. وعليه أن يدرس كتب الحكمة ويكون مستنيراً بها لأنه بحسب روحانيته سوف يُدان].

٢ ـ كتب الترانيم:

وهي ذات معاني جميلة وأهمها مزامير الشكر (هوديوث: Hodayoth)،

وكنموذج لها نقدِّم الترنيمة المعروفة لديهم بترنيمة الحمد:

[أقدِّم لله حمدي ليلاً ونهاراً. أحمده في السحر عندما يبدأ النهار، وأختمه بتسبيحة الغروب عندما تميل الشمس نحو مسكنها... أحمده في الصبح عندما يفتح الله أبواب الرزق، وأختم تسبيحي عندما يطغى الظلام على النور... أحمده عندما تبدأ الأسابيع والفصول والأعوام، وأختمها أيضاً بتسبيحه فأقول لله: أنت حقي دائماً، مصدر كل خيراتي].

٣ ـ كتب الصلوات والعبادة الجماعية:

مثل صلوات البركات، وهذه الصلوات يتلوها رئيس الجماعة، وهي شبيهة بصلوات القداس الإلهي في الكنيسة التي تُتلى في سر الشركة، وترمز معظمها إلى المسيَّا وانتظار مجيئه.

وفيها يبارك رئيس الجماعة وأفراد الشعب أولاً ثم يبارك رئيس الكهنة الممسوح على رتبة هارون، ثم يبارك الكهنة أولاً صادوق الكاهن العظيم، وأخيراً يوجه البركة لأمير جماعتهم المعتبر "مسيا إسرائيل". ولا نعرف ماذا يفعل بعد ذلك لأن بقية المخطوطة قد فُقدت. أما نص هذه البركات فنورد جزءاً بسيطاً منها:

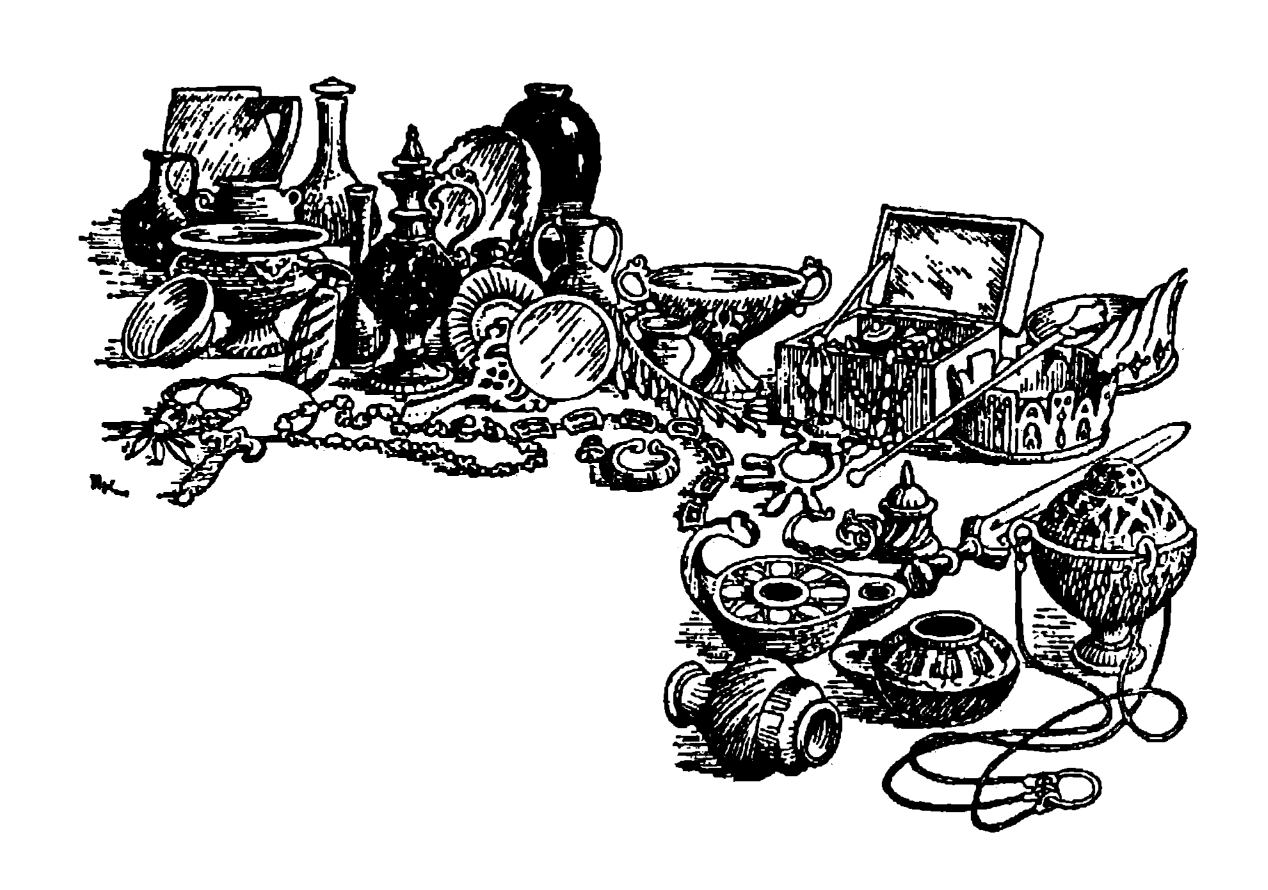
[يبارك السيد الإله أولئك الذين يخافونه ويصنعون إرادته، الذين يحفظون وصاياه ويتمسكون بعهده المقدس، ويسيرون باستقامة في كل طرق حقه، أولئك الذين اختارهم لميثاق دائم يبقى إلى الأبد.

يباركم الرب من موضع قدسه، يفتح لكم من سمائه ينبوعاً دائماً لا ينضب أبداً.

ليشملكم الله بكل بركة سمائية، وليعلمكم المعرفة التي لخواصه القديسين. فَلْيُفِض عليكم ينبوعه المتدفق إلى الأبد، ولا يمنع مياه الحياة عن العطاش إليه].

٤ ـ كتابات الحكمة وكتب تعليم الأسرار:

ومن الممكن أن يشمل كتاب واحد كلاًّ أو بعضاً من هذه الأنواع مجتمعة. ومثال لذلك "دليل السلوك"، فهو يشمل قسماً عقيدياً عن قانون الجماعة، ثم ينتهي بترنيمة طويلة.



الفصل الرابع

ما الذي استفدناه من دراسة هذه المخطوطات

أولاً: استطعنا بواسطة هذه المخطوطات أن نحصل على دليل مادي أكثر قِدَماً من كل الأدلة المادية الموجودة لدينا بحوالي مئتي عام، عن صحة الأسفار المقدسة ومطابقتها للأسفار الموجودة بين أيدينا.

ثانياً: أمكننا إجراء دراسات تقابلية على نصوص هذه الأسفار لاستجلاء المعاني الغامضة، واستيضاح الألفاظ التي تحتمل أكثر من معنىً واحد، خاصة وأن أغلب هذه المخطوطات مكتوبة باللغة العبرية القديمة التي كتبت بها أسفار العهد القديم في الأصل.

ثالثاً: أعطتنا فكرة أكثر وضوحاً عن كتب الأبوكريفا والمنحولة (أي بسودابيجرافا) ومصدرها ونسبة شيوع كل منها في أوساط اليهود المتدينين.

رابعاً: أمكن معرفة الكثير من تعاليم ومبادئ تلك الجماعة التي عاشت في ناحية القمران وطراز الحياة التي كان يعيشها هؤلاء القوم المعاصرين ليوحنا المعمدان وللرب يسوع.

خامساً: ألقت هذه المخطوطات ضوءاً شديداً على الفكر الماسياني

(أي المتعلق بمجيء المسيَّا وانتظاره) عند اليهود الأتقياء في حقبة ما بين العهدين القديم والجديد، أي في الفترة التي سبقت مجيء المسيح مباشرة على وجه التحديد، بل والمعاصرة في بعض منها للرب يسوع.

ويمكن القول أن مبادئ هذه الجماعة قد مهَّدت للمسيحية أو هي على أقل تقدير قد قرَّبت إلى الأذهان احتمال مجيء المسيح بصورة معلم للصلاح، مُضطهَداً من الأشرار وغير مقبول من بعض الكهنة المنافقين، وجعلتنا نفهم بلا شك حقيقة الجو الذي ظهرت فيه المسيحية إبَّان فجرها وفي عهدها التكويني وفي زمان انطلاقتها الأولى.

سادساً: على أن هذه المظاهرة الضخمة التي أحاطت بهذه الكشوف الأثرية لم تستطع ـ بالرغم من مئات البرديات والرقوق والمؤلفات ـ من أن تزيد على حقائق الإنجيل ولا حقيقة واحدة، كما لم تستطع بالرغم من تحمس مئات العلماء الناقدين من أن تزحزح حقيقة واحدة من حقائق الإنجيل أو تلقي ظلاً ما على الإيمان المسيحي الثمين.

وكل ما لا نزال نرجوه من هذه الأبحاث الكبيرة هو إعطاء فرص جديدة للمتشككين ليقتنعوا بأصالة الأسفار المقدسة ودقتها وصحتها وعدم تحريفها حتى يقبلوا حقيقة الإنجيل فوق كل شك. وهذا هو القصد من هذا الكتاب.